روايات مصرية للجيب

فارس المستقبل

وقصص أخرى

كوكتيل ٢٠٠٠

41

Looloo
www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

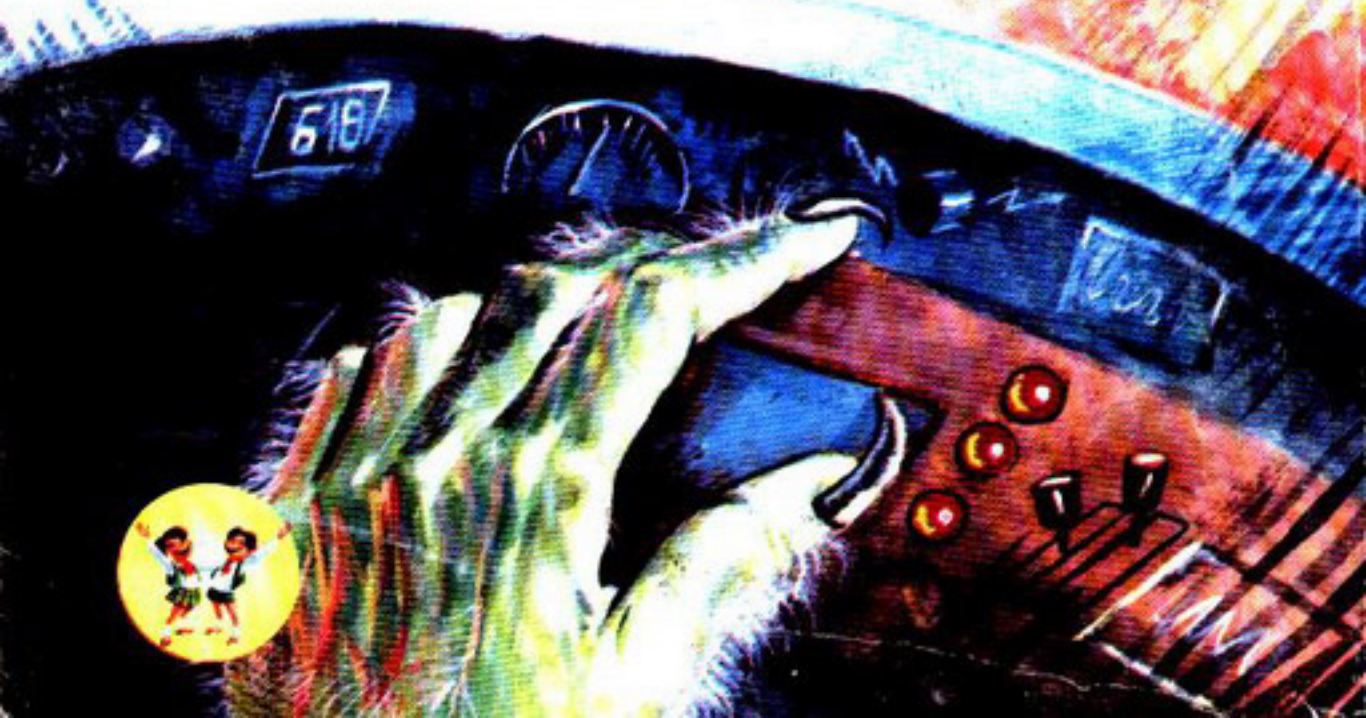

• مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..

• مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .

• مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

• مع كل هذا جاءت كوكتيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

• *إلى الحضارة ..*

• *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*

د. نبيل فاروق

الفرسان يتساقطون ..

(رثـــاء)

إحدى وعشرون عامًا مضت ، منذ بدأت علاقتى بروايات مصرية للجيب ..

عمر كامل انقضى ، من الشباب إلى الكهولة ، بين صفحاتها ..

سنوات عديدة ، حملت أحلامًا ..

وطموحات ..

وتمنيـــات ..

ونجاحـات ..

وصداقات ..

صداقات عديدة ، ربطتنى بعشرات من العاملين فى المؤسسة ..

وذكريات أكثر ربطتنى بالمكان ..

ورجـــالـه ..

ومنتجـاته ..

وإبداعاته ..

ولأن الإنسـان غافل بطبعه ، ويتصـوّر دومًـا أن بقـاء الحـال هـو

المنال ، فقد تراصت مشاعرى وخلاياى ، واطمأنت إلى الوضع القائم ، وارتاحت إليه ، وألفته ..

وأحبته ..

ثم شاء القدر أن يوقظنى بغتة ، من ذلك الحلم الجميل ، بصفعتين قاسيتين ، هويتا على قلبى كصاعقتين مدويتين ، لتزلزلانه من أعمق أعماقه ..

الصفعة الأولى كانت فى فقدان الأستاذ (إسماعيل دياب) ، الفنان العظيم ، الذى شاركنى الرحلة الطويلة ، لعشرين عامًا كاملة ..

لم تكن علاقتنا أبدًا تقتصر على علاقة مؤلف برسام أغلفته ..

بل كنا صديقين ..

وصديقين حميمين للغاية ..

كان رحمه الله فنانًا ، بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فهو شاعر ، رقيق ، مرهف الحس ، مفكر ..

وفيلسوف أيضًا ..

وفى لقاءاتنا ، كنا نتحدث ، ونتحدث ، ونتحدث لساعات طوال ، دون أن ندرك كم مر من الوقت ..

أو متى ينبغى أن نتوقف ..

كنا نناقش آراءنا ..

وأفكارنا ..

وفلسفاتنا ..

ونتجادل ..

ونتحاور ..

ونتفق ..

ونختلف ..

ولكننا دومًا نفترق أكثر ودًا وصداقة مما بدأنا ..

لم يتدخل يومًا فيما أكتبه ، ولم أناقش يومًا ما يرسمه ؛ فكلانا كان يعشق الحرية ، وينأى بنفسه عن دس أنفه فى شئون الآخرين ، وهى سمة أدركت فى عمرى هذا ، أنها نادرة على نحو لم أكن أتصوّره طيلة عمرى ..

باختصار ، كان الأستاذ (إسماعيل دياب) نافذة مشرقة ، تطل منها كافة مشاعرى ..

ثم علمت فجأة أن تلك النافذة قد أغلقت ..

وإلى الأبد ..

أزمة قلبية غادرة ، أودت بحياته وفنه ، فى لحظات الشروق الأولى ، فى مرسمه الصغير ..

ورحل الفنان ..

والشاعر ..

والفيلسوف ..

رحل ليترك فى أعماقى فجوة لا تمتلئ ، وجرحًا لا يندمل ..

وقبل أن تهدأ مشاعرى ، وتستسلم ، وتخضع لقانون القدر والدنيا ، هوت على قلبى الصفعة الثانية ..

فارس آخر سقط ..

وصديق عزيز ثان رحل ..

الأستاذ (صبحى عبود) ..

الجندى المجهول ، الذى كان يختفى دومًا خلف كل كتاب أمسكتموه بأيديكم ، من روايات مصرية للجيب ..

الإنسان المهذب ، الحنون ، الذى انشغل دومًا بقضاء حوائج الناس ، والسعى للخير فى الخفاء ..

كان من ذلك الطراز من البشر ، الذى تمنحه قلبك وثقتك ، منذ المقابلة الأولى ..

ثم لا تندم على هذا أبدًا ..

كنا نلتقى كثيرًا ونتحدث طويلاً ..

كثيرًا ما ائتمنته على أسرارى ، وائتمننى على أسراره ..

ولم يخب رجاء أحدنا فى الآخر قط ..

ولا أحد فى الدنيا كلها يمكن أن يتخيل كم انفطر قلبى لرحيله ..

وكم بكى كيانى كله لفراقه ..

وكم تحطم شىء عميق .. عميق .. عميق داخلى من بعده ..

فجأة ، شعرت أن السفينة تواجه رياحًا عاتية ..

عاصفة شعواء ..

أمواج ثائرة ..

وأن الفرسان يتساقطون ..

ومعهم العمر يمضى ..

ويمضى ..

ويمضى ..

إلى لقاء ..

★ ★ ★

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

رنـــات

قصة قصيرة

المؤسسة العربية الحديثة

رنـــات

(قصة قصيرة)

« **إش** .. إش .. ده إيه الحلاوة دى »

انتفخت أوداج (فتحى) ، عندما استقبله صديقه (حمزة) بهذه العبارة ، فى المقهى الذى اعتادا الجلوس عليه ، فى الحى الشعبى الشهير ، وأحاطت أصابعه بذلك الموبايل الفخم فى زهو واضح ، وهو يلقى جسده على المقعد المعدنى ، قائلاً :

« آخر موديل .. فيه كاميرا » ..

ضحك صديقه (فتحى) ، وهو يقول :

« لطشته منين ده يا واد .. ده يجيله ييجى بألف جنيه » ..

لوَّح (حمزة) بذراعه كلها مستنكرًا ، وهو يهتف :

ـ « يا عم روح .. ده المستعمل بتاعه يعمل ألفين بالميت فى السوق » ..

انبهر (حمزة) بالرقم ، الذى يساوى يوميته كعامل محارة ، فى مائة يوم كاملة ، ومال نحوه يسأله :

« واتحصلت عليه إزاى ده ياد .. »

هزَّ (فتحى) كتفيه ، وهو يقول بنفس الزهو ، وظهره يلتصق بالمقعد فى عنتظة :

ـ « زى الناس .. »

كان جوابًا عامًا ، لا يعنى شيئًا بالتحديد ، وعلى الرغم من هذا فقد اكتفى به (حمزة) ، وتجاوز سؤاله كله ، عندما أضاف (فتحى) ، فى صوت قوى ، يخالف تمامًا صوته الضعيف المستكين ، الذى التصق به ، بعد أسابيع طويلة من البطالة :

ـ « والليلة دى المشاريب على حسابى كمان .. »

كانت ليلة نادرة ، دفع فيها (فتحى) حساب المشروبات ، لثلاثة من أصدقائه ، بورقة من فئة العشرين جنيهًا ، وتناول بعض شطائر اللحوم ، وزجاجة من البيرة المثلجة ، قبل أن يستعد للانصراف ، فضحك صديقه (حمزة) ، هو يودعه ، قائلاً :

ـ « ما إنت يا لطشه ، يا ورثت ورث تقيل .. »

ولم يجب (فتحى) عبارته ، أو يعلق عليها ، وهو يتجه نحو البناية ، التى يقيم فى حجرة صغيرة على سطحها ، والتى تسد تلك الحارة الصغيرة بعد ناصية المقهى ..

كانت حجرته تعلو خمسة طوابق ، صعدها وهو يترنح ، من فرط الزهو والنشوة ، وما إن دخل حجرته الصغيرة ، حتى أغلق الباب خلفه ، وأسند ظهره إليه ، وتطلع إلى ذلك الموبايل الفاخر ، وذهنه يستعيد أحداث بداية الليلة :

كان يسير فى ذلك الشارع المقفر المظلم ، عندما لمح ذلك الشاب ..

شاب فى الخامسة عشرة من عمره على الأكثر ، يرتدى ثيابًا تشف عن الثراء والدعة ، ويمسك ذلك الموبايل الأنيق ..

كان من الواضح أنه قد ضل طريقه ، لسبب أو لآخر ؛ إذ لم يكن

من المنطقى أبدًا أن يتواجد شاب مثله ، فى منطقة كهذه ..

وبالنسبة له ، بدت هذه فرصة ، ما بعدها فرصة ..

وفى شراسة اكتسبها من حياته القاسية ، استل مطواته ، واندفع نحو ذلك الشاب ، وصرخ فى وجهه ، يأمره بإعطائه ذلك الموبايل ، وكل ما يحمله من نقود أيضًا ..

وكما توقع تمامًا ، أصيب الشاب بفزع رهيب ، وأعطاه الموبايل ، وعشرين جنيهًا كان يحملها ، وتضرع إليه أن يتركه لحاله بعدها ..

وكان من الممكن بالفعل أن يتركه (فتحى) ، بعد أن استولى على ساعته أيضًا ، إلا أن شيطانًا ما فى أعماقه دفعه إلى فكرة خسيسة مجنونة ، لم يفق منها إلا وهو يسحب مطواته من قلب ذلك الشاب المسكين ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، فى مزيج من الألم والرعب ، وحاول منع ذلك النهر الدموى ، الذى تفجَّر من صدره ، وحملت عيناه نظرة اتهام ، لم تلبث أن تحولت إلى لمحة بغض وكراهية ، قبل أن يسقط عند قدمى (فتحى) جثة هامدة ..

وبأقصى سرعته ، انطلق (فتحى) يعدو مبتعدًا ، ويتنقَّل من شارع إلى آخر ، حتى بدا له أنه قد ابتعد تمامًا عن مسرح جريمته ، وأن أحدًا لن يصل إليه ، فتوقف ، والتقط أنفاسه ، وذهب للقاء (حمزة) فى المقهى ..

وعلى فراشه الرث ، شبه المتهالك ، أمسك الموبايل ، وقلَّبه بين يديه ، محاولاً تخمين سعره الحقيقى ، والمبلغ الذى سيحصل عليه ، عندما يذهب لبيعه فى سوق الحرامية ، يوم الجمعة القادم ..

ولأن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ، فقد غلبه النوم ، وسقط الموبايل من يده على الفراش ، وراح فى سبات عميق ، و ....

وفجأة انطلق رنين الموبايل ..

انطلق على نحو ارتجفت معه أوصاله كلها ، ووثب لها جسده بأكمله ، واتسعت به عيناه ، وهو يحدّق فيه فى ذعر ، قبل أن ينتبه إلى الموقف ، ويختطفه بحركة حادة ، محاولاً معرفة رقم المتصل ..

إنهم أهل ذلك الشاب حتمًا ، وقد أقلقتهم غيبته ، ويحاولون الاطمئنان عليه عبر الموبايل ..

ولكن الشاشة كانت خالية ، لا تحمل أية أرقام ، والرنين يتصل ..

ويتصل ..

ويتصل بلا انقطاع ..

وفى أعمقِ أعماقه ، تصاعد توتر لا محدود ، من ذلك الرنين المتصل ، فقلّب الموبايل مرة أخرى بين يديه ، حتى عثر على زر إغلاقه ، فضغطه بكل قوته ، وعاد إلى نومه ..

لم يدر كم استغرق فى النوم هذه المرة ، ولكنه استيقظ على نفس النحو المذعور ، وعاد يحدّق فى الموبايل ، المستقر إلى جواره على الفراش ، ورنينه يتردّد بصوت تضاعف علوه ، مع صمت الليل ..

ولثوان ، حدّق فيه بشىء من الذعر ، فهو يتذكر جيّدًا أنه قد أغلقه تمامًا ..

لم يوقف رنينه فحسب ، ولكنه أغلقه ..

أو ربما خيل إليه هذا ..

لم تسعفه ذاكرته جيّدًا ، فمال يتطلّع مرة أخرى إلى الشاشة ، التى لم تحمل أية أرقام كالمرة السابقة ، ثم ضغط زر إغلاق الموبايل ، ليتوقف الرنين على الفور ..

وفى هذه المرة تساءل ، لماذا ترك الشريحة فى الموبايل ؟!

وجودها هو سبب ذلك الرنين المزعج ، الذى يثير رجفة عجيبة فى أوصاله ..

وفى عصبية ، فتح الموبايل ، والتقط منه الشريحة ، واتجه نحو النافذة الصغيرة ، المطلة على الشارع ، وألقاها بكل قوته ..

وعاد للنوم ..

ولكن فجأة انطلق رنين الهاتف مرة أخرى ..

انطلق بصوت أكثر اتصالاً ..

وأكثر ارتفاعًا ..

وهنا حدّق فيه (فتحى) بمنتهى الرعب ..

لقد انتزع الشريحة ، وألقاها من نافذته ، فكيف يمكن أن ينطلق الرنين ..

وبأصابع مرتجفة ، التقط الموبايل ، وتطلّع إلى شاشته ، التى

لم تحمل أية أرقام كالمعتاد ، ثم استجمع شجاعته ، وضغط زر الاتصال ، وهو يضع الموبايل على أذنه ..

ولوهلة ، لم يسمع أية أصوات ، ثم خيل إليه فجأة أنه يسمع صوتًا باهتًا مبحوحًا ، يأتى من بعيد ، بهمهمة غير مفهومة ..

صوت ذكره بشىء ما وأطلق قشعريرة باردة كالثلج فى أوصاله أيضًا ..

وبحركة حادة ، كمن لدغه عقرب ، ألقى (فتحى) الموبايل بعيدًا ، وتراجع فى فراشه ، محاولاً السيطرة على جسده ، الذى راح يرتجف كريشة فى مهب الريح ..

وفى أعمق أعماق عقله ، راح يسترجع كل ما سمعه من معلومات عن أجهزة الموبايل بكل أنواعها ..

نعم .. لقد سمعهم يتحدثون عن موبايل بروحين ..

موبايل يمكنك أن تضع فيه شريحتين ، برقمين منفصلين ..

هذا الموبايل من ذلك الطراز حتمًا ، وهو ألقى إحدى الشريحتين ، وظلت الثانية داخله ..

نعم ..

هذا ما حدث ..

الفكرة جعلته يقفز ليلتقط الموبايل ، ويعبث فيه مرة أخرى ؛ بحثًا عن تلك الشريحة الثانية ..

وبينما يفعل هذا ، انطلق رنين الموبايل بين أصابعه بغتة ، حتى إنه أطلق صرخة رعب ، وألقاه بعيدًا عنه ..

لم يدر ماذا حدث بالضبط ، ولا كيف حدث هذا ، ولكن الموبايل لم يكد يرتطم بالأرض ، حتى توقف فجأة عن الرنين ، وانبعث منه صوت ما ..

صوت لم يبد مسموعًا أو واضحًا من موضعه ؛ لذا فقد اقترب منه فى حذر ، وانحنى يلتقطه بأصابع مرتجفة ، محاولاً فهم ما يقوله ذلك الصوت ..

كان صوتًا عجيبًا ، يبدو وكأنه ينبعث من أعماق سحيقة ، ويردد كلمة ما ، اضطر (فتحى) إلى وضع الموبايل على أذنه ليسمعها ..

وسمعها ..

وانتفض جسده كله بمنتهى العنف ..

فذلك الصوت ، الذى يأتى من أعماق سحيقة ، كان يردد كلمة واحدة ..

« قاتل .. »

وبكل رعب الدنيا ، انتزع (فتحى) بطارية الموبايل ، وألقاها بكل قوته ، لترتطم بالجدار ، وترتد إلى منتصف الحجرة بعنف ..

ولكن جسده لم يتوقف عن الارتجاف ..

تلك الليلة لا تريد أن تمضى أبدًا ، على الرغم من أنه ، ولأول مرة فى حياته ، ينتظر شروق الشمس بفارغ الصبر ..

فحجرته بلا كهرباء ، وهو يعتمد دومًا على أضواء الشارع لإنارتها ؛ لأنه لا يملك ما يدفع به تكاليف استهلاك التيار الكهربائى ..

ومنذ سنوات ، اعتاد العيش فى الظلام ، وألفه ..

إلا فى هذه الليلة ..

وبجسد لم تتوقف ارتجافته ، عاد إلى الفراش ، وجذب الغطاء نصف الممزق عليه ، و ....

وانطلق رنين الموبايل ..

وهوى قلبه بين قدميه بمنتهى العنف ..

مستحيل أن يحدث هذا !!

مستحيل !

ذلك الموبايل الملعون بلا بطارية ..

وبلا شريحة ..

ولكن رنينه ينطلق ، ويدوى فى الحجرة ، وربما فى المنطقة كلها ..

وعلى الرغم من رعبه وهلعه ، وثب يختطف ذلك الموبايل من أرضية حجرته ، واندفع به نحو النافذة ، وألقاه بكل ما يملك من قوة ..

ومن موقعه ، رآه يهوى نحو الأرض ، ورنينه يخفت ..

ويخفت ..

ويخفت ..

وهنا فقط شعر (فتحى) بالارتياح ..

وبالتهالك أيضًا ..

ذلك الانفعال العنيف أرهقه ، وكاد يفقده صوابه ..

وعلى الرغم من رعبه وارتياعه ، سقط رأسه ثقيلاً على فراشه ، وسقط جفناه متثاقلين ، وانهار فى نوم بلا قرار ..

وانطلق رنين الموبايل مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كاد قلبه يتوقف ، وهو يثب بكل رعب الدنيا ، ويحدق فى الموبايل ، المستقر إلى جواره مباشرة ، ورنينه يتصل فى إلحاح ..

لا .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقة ..

إنه كابوس ..

كابوس راوده فى نومه ، بسبب ما فعله ..

لقد ألقى الموبايل من النافذة بنفسه ، ولا يمكن أن يعود إليه ، إلا لو كان هذا كابوسًا ..

نعم .. إنه كابوس ، والوسيلة الوحيدة لتجاوزه ، هى أن يواجهه ..

ومع تلك الفكرة الجديدة ، امتدت أصابعه المرتجفة تمسك الموبايل ، وتضغط زر الاتصال فيه ، ثم ارتفعت به إلى أذنه ..

وفى هذه المرة أيضًا .. سمع الكلمة نفسها ..

« قاتل .. »

وفى هذه المرة ، ميزها جيدًا ..

إنه صوت ذلك الشاب الذى قتله فى المساء ..

وصوته لا يأتى من أعماق سحيقة ..

بل من قبر ..

قبر فى أعمق أعماق الأرض ..

وانهار كيان (فتحى) كله ، وصرخ :

ـ « عايز منى إيه ؟! »

وهنا انطلقت صرخة هادرة من الموبايل :

ـ « قاتل .. »

وفى هذه المرة كانت الصرخة واضحة قوية ، وامتزجت بالصرخة الرهيبة ، التى أطلقها (فتحى) ، التى أيقظت جيرانه كلهم ..

وعندما صعد الجيران إلى حجرته ، كان المشهد بشعًا ، على الرغم من شروق الشمس ..

لقد كان (فتحى) ملقى أرضًا جثة هامدة ، والدماء تنزف من أذنيه بغزارة ، وأصابعه متشبثة بموبايل من طراز باهظ الثمن ..

للغاية ..

★ ★ ★

كوكتيل ٢٠٠٠
روايات مصرية للجيب
طريق الأمل
قصة كاملة
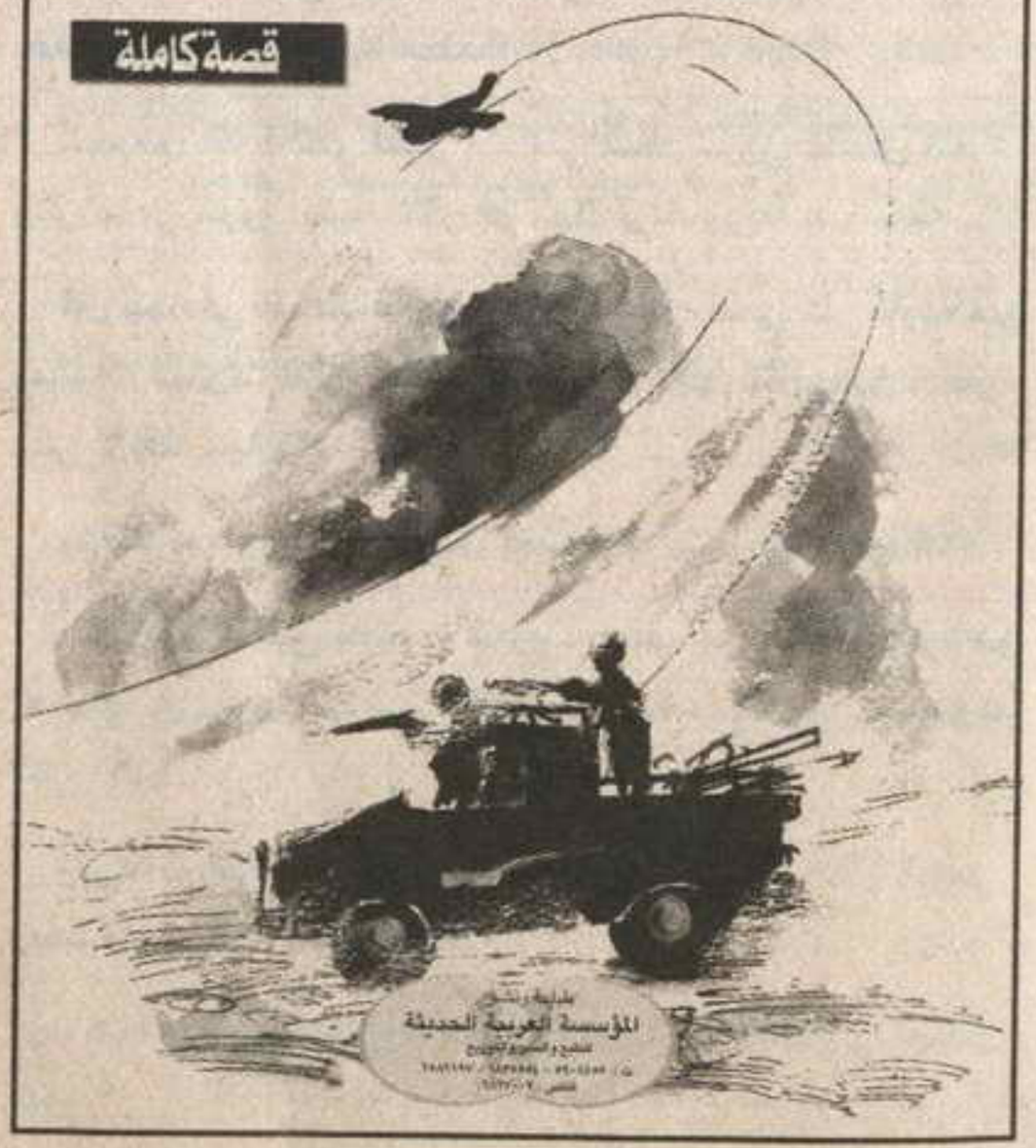

١ ـ الهـــــارب ..

بدا مشهد شروق الشمس فى الأفق مبهرًا خلابًا ، فى عينى (باسل) ، وهو ينطلق بسيارته الرياضية الصغيرة ، عبر الطريق الواسع ، الممتد إلى مدى بصره ، فى قلب الصحراء ، حتى إنه ابتسم فى ارتياح غامر ، مغمغمًا :

ـ سبحان الله (العلى القدير) .. إننى أشاهد شروق الشمس كثيرًا ، ولكن ما من شروق يشبه الآخر قط ، وكل يزداد روعة عن سابقه ..

كان يتجه فى تلك الساعة المبكرة ، إلى مطار صغير على مقربة من المدينة ، لطائرات التدريب التى اعتاد التحليق بها ، كل حين وآخر ، حتى لا يفقد مهارته ..

وكانت هذه واحدة من أفضل المتع التى يشعر بها فى حياته ..

ولقد اعتاد التحليق بطائرات التدريب هذه ، فى ساعة مبكرة من الصباح ، قبل أن يذهب إلى عمله فى الجريدة ، مرة واحدة أسبوعيًا على الأقل ..

وفى تمام السابعة ، كان يوقف سيارته الرياضية داخل المطار ، ويثب منها ، قائلاً لفنى الإصلاح :

ـ صباح الخير يا (رشدى) .. كيف حال طائرتى الصغيرة اليوم ؟!

أجابه (رشدى) بابتسامة هادئة ودود :

ـ فى خير حال يا سيد (باسل) .. لقد فحصتها بنفسى ، وأشرفت على ضبط محركاتها وتغيير كل الزيوت الحيوية ، وتزويدها بالوقود الكافى ..

بادله (باسل) ابتسامته ، قائلاً :

ـ عظيم .. أشكرك يا (رشدى) .. أشكرك كثيرًا ، ولم تمض دقائق عشر ، على هذه المحادثة ، حتى كان (باسل) يحلق بطائرته الصغيرة فوق الصحراء الشاسعة ، وهو يهتف فى سعادة وحماس :

ـ يا للروعة ! كم أعشق الطيران !

كان يشعر بارتياح غامر ، كلما حلق بطائرته فوق منطقة الصحراء ؛ فهو يعشق الاثنين ..

الطيـــران ..

والصحراء ..

وفى غمرة نشوته ، التقط جهاز اللاسلكى ، وقال بابتسامة كبيرة :

ـ إنك تستحق مكافأة اليوم يا (رشدى) ، فالطائرة بالفعل على ما يرام و ....

بتر عبارته بغتة وهو يحدّق فى المصباح الصغير الأحمر ، فى طرف جهاز اللاسلكى ، ثم تابع فى ضيق ، واضح :

ـ كلا .. إنك لا تستحق أية مكافآت يا (رشدى) ، فلقد راجعت كل شىء فى الطائرة فيما عدا جهاز الاتصال باللاسلكى ، فهو لا يعمل اليوم ..

لم يكن يشعر بالارتياح أبدًا ، عندما يقود الطائرة بدون جهاز اتصال لاسلكى ، على الرغم من أن كل شىء كان يسير على ما يرام ؛ لذا فقد دار بطائرته نصف دورة ، مزمعًا العودة إلى المطار ، و ....

وفجأة ، لمح ذلك المشهد ، فى قلب الصحراء .. كانت هناك سيارة صغيرة ، تنطلق بأقصى ما يسمح به محركها ، فوق رمال الصحراء ، وخلفها تنطلق سيارة (جيب) ضخمة قوية ، فى مشهد بدا له أشبه بوحش مفترس ، يطارد فريسة مسكينة ، لينقض عليها أو ينهشها نهشًا ..

وفى اهتمام شديد ، تابع (باسل) المشهد ، وهو يحلق بطائرته فى دوائر متصلة ، فوق الموقع ..

وأمام عينيه ، تجاوزت (الجيب) الضخمة تلك السيارة الصغيرة ، ثم انحرفت لتعترض طريقها فى حركة عنيفة ، حتى إن السيارة الصغيرة تفادت الارتطام بها بصعوبة ، قبل أن تتوقف ، ويقفز منها رجل نحيل ، انطلق يعدو مبتعدًا بأقصى سرعته ، وكأنما تطارده شياطين الدنيا كلها ، فوثب من الجيب ثلاثة رجال أقوياء ، يحملون مسدسات كبيرة ، وانطلقوا خلف النحيل فى شراسة واضحة ..

ولسبب ما ، شعر (باسل) أن هؤلاء الرجال الثلاثة إنما يسعون لهدف واحد ..

قتل النحيل ..

وبلا رحمة ..

ولم يضع (باسل) لحظة واحدة ..

كالمعتاد ..

لقد اتخذ قراره بسرعة مدهشة ووضعه فى لحظة واحدة موضع التنفيذ ..

لم يكن يحمل سلاحًا ، إلا أنه قرر التدخل ، وبأقصى سرعة ؛ لإنقاذ النحيل ، وحمايته من مطارديه ..

مهما كان الثمن ..

وانخفض (باسل) بطائرته ، وهو ينقض على الرجال الثلاثة ، الذين بدا عليهم التوتر ، وهتف أحدهم فى عصبية :

ـ من أين أتت تلك الطائرة ؟!

هتف به زميله :

ـ بل قل : ما الذى تستهدفه هذه الطائرة ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى هتف زميلهما الثالث ، وهو يلقى نفسه أرضًا :

ـ انبطحا .. إنها تهاجمنا .. وعلى الرغم من دهشة رفيقيه وحيرتهما ، إلا أنهما أسرعا ينبطحان أرضًا ، فى محاولة لتفادى الطائرة ، التى انخفض بها (باسل) على نحو بالغ الخطورة ، حتى كادت ترتطم برءوسهم ، خاصة وقد أنزل إطارات الهبوط ، مما جعل أحد الرجال الثلاثة يهتف :

ـ هذا الطيار مجنون ، أو ....

قاطعه زميله فى حدة :

ـ أو أنه يسعى لإنقاذ (ميلو) .

انعقد حاجبا الثالث ، وهو ينهض بسرعة ، ويتابع ببصره حركة طائرة (باسل) التى دارت حولهما ، ثم اتجهت بسرعة نحو النحيل ، الذى توقف مذعورًا ، متصورًا أن الطائرة تهاجمه ، ورفع ذراعيه مستسلمًا فى يأس ، ولكن (باسل) هتف به ، وهو يتوقف على مسافة ثلاثة أمتار فحسب منه :

ـ أسرع يا رجل ، قبل أن يفيقوا من دهشتهم ، اتسعت عينا النحيل فى دهشة ، وهو يحدق فى وجه (باسل) ، الذى كرر ، مشيرًا له بيده فى انفعال :

ـ أسرع بالله عليك .

انتزع النحيل نفسه من دهشته ، وانطلق يعدو نحو الطائرة ، فى حين صاح أحد الرجال الثلاثة فى غضب :

ـ أنت على حق .. إنه يحاول إنقاذه .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى كان يعدو بأقصى سرعته نحو الطائرة ، وهو يطلق رصاصات مسدسه الآلى نحوها فى غزارة وغضب ..

وبلا أدنى تردد ، أو حتى تفكير ، انطلق زميلاه خلفه ، وراحا يمطران الطائرة برصاصاتهما أيضًا .. وبكل الذعر فى أعماقه ، وثب النحيل يتعلق بالطائرة ، فصاح (باسل) ، وهو ينطلق بها فوق الرمال :

ـ حاول أن تحشر نفسك فى الفراغ الصغير خلف مقعدى ، فسنقلع على الفور وليست لدينا ثانية واحدة لمنحك مجلسًا مريحًا .. كانت إطارات طائرته من الطراز العريض ، المجهزة للإقلاع والهبوط ، فوق الرمال الصحراوية ؛ لذا فقد أمكنه الانطلاق بالطائرة بسرعة مناسبة ، إلا أن القلق والتوتر كانا يعصفان بنفسه ، مع دوى الرصاصات العنيف من خلفه ، وصوت ارتطام بعضها بجسم الطائرة ..

أما الرجال الثلاثة فقد انتابهم غضب هادر ، عندما راحت الطائرة تبتعد وهتف أحدهم :

ـ سينجح فى الفرار منا بعد كل هذا .

أجابه أحد زميليه فى صرامة :

ـ ليس بعد .

ثم ألقى نفسه على الرمال ، وارتكن إليها بمرفقيه ، وهو يصوّب مسدسه بمنتهى الدقة إلى جزء خاص من الطائرة ..

خاص جدًا ..

وفى نفس اللحظة ، كان النحيل يهتف فى عصبية :

ـ هيا .. ماذا تنتظر أيها العربى ؟! أقلع يا رجل .. أقلع بأقصى سرعة بالله عليك ، قبل أن يلحقوا بنا .. أجابه (باسل) فى صرامة ، وهو يبذل قصارى جهده ، للسيطرة على الطائرة ، التى تنطلق فوق الرمال :

ـ رويدك يا رجل .. إننا فوق رمال الصحراء ، والإقلاع فى مثل هذه الظروف ليس سهلاً أو بسيطًا .. لا بد وأن نبلغ سرعة مناسبة حتى يمكن للهواء حمل أجنحة الطائرة ، والارتفاع بنا .. هتف النحيل فى ذعر واضح :

ـ لست أدرى شيئًا عن مصطلحاتك الفنية هذه ، ولكننى أعلم أنه لا بد وأن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ، فأنت لا تعرف هؤلاء الرجال ،

الذين أتقنتنى منهم .. إنهم وحوش .. وحوش آدمية ، لا تعرف الرحمة أو الشفقة ، ولو وقعنا فى أيديهم ، لن يتورّعوا لحظة عن تمزيقنا إربًا .. هل تفهم ؟!

انعقد حاجبا (باسل) ، وهو يجذب عجلة القيادة إليه فى رفق ، استعدادًا للإقلاع :

ـ اطمئن يا رجل .. سيسير كل شىء على ما يرام بإذن الله .

زادت سرعة الطائرة فوق الرمال ، وارتفعت مقدمتها بالفعل ، و ...

وفجأة ! انطلقت كل رصاصات الرجال ..

وأصابت هدفها ، على نحو أدهشه هو نفسه ..

وكان هذا الهدف هو الدفة ..

الدفة الخلفية لذيل الطائرة ، التى تحطمت بدوى عنيف ، ثم طار جزء منها على نحو مخيف اختل معه توازن الطائرة دفعة واحدة ، والرجل يثب واقفًا ، وهتف فى انفعال :

ـ لقد فعلتها .. أصبت الطائرة .. لقد فعلتها ..

كان (باسل) يبذل جهدًا خرافيًا فى تلك اللحظة ، محاولاً السيطرة على الطائرة ، التى ارتجت فى قوة ، مع تحطم الدفة ، فمالت مقدمتها

إلى الأمام ، ومال معها جناحها الأيسر نحو الرمال فى عنف ، ثم دارت حول نفسها ، وصرخ النحيل فى ذعر ، وأخفى وجهه بكفيه ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! لقد انتهينا .. انتهى أمرنا .. لم يعد هناك أمل ..

وكان على حق إلى حد كبير !

فقد توقفت الطائرة فى قلب الصحراء ، ولم تعد قادرة على الإقلاع ، ويندفع نحوها ثلاثة من الوحوش .

الوحوش الآدمية .

★ ★ ★

٢ ـ مطـــاردة ..

لثوان انعقد حاجبا (باسل) ، وهو يراقب الرجال الثلاثة ، الذين يعدون بأقصى سرعتهم نحو الطائرة ، وقد بدا لهم أن الفريسة قد وقعت فى قبضتهم ، فى حين هتف النحيل فى رعب هائل :

ـ لا فائدة .. لقد انتهينا .. لا فائدة .. ولكن (باسل) أجابه فى صرامة شديدة :

ـ لا تسبق الأحداث يا رجل ..

ثم دفع بدّال الوقود فى قوة ، وهو يدور بالطائرة ، مبتعدًا عن الرجال الثلاثة ، فتوقّف النحيل عن النحيب ، وسأله فى دهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟!

أجابه فى حزم :

ـ ربما لم يعد باستطاعتنا الطيران ، ولكننا نستطيع الابتعاد بأقصى سرعة على الأقل ..

قالها ، وهو ينطلق بالطائرة فوق رمال الصحراء ، بأقصى سرعة ممكنة ، فهتف أحد الرجال الثلاثة فى غضب :

ـ ماذا يفعل هذا الأحمق ؟!

أجابه أحد زميليه فى صرامة :

ـ أيًا كان ما يفعله ، فمن الواضح أنه ليس أحمق أبدًا ..

وصمت لحظة ثم استطرد فى حزم :

ـ إلى (الجيب) .. هيا .. يبدو أننا سنواصل المطاردة ..

رآهم (باسل) عبر نافذة خلفية ، وهم يهرعون إلى السيارة (الجيب) القوية ، وأدرك أن المطاردة ستحتدم فى الدقائق التالية ، فزاد من سرعة الطائرة ، التى تنطلق فوق الرمال ، عاجزة عن الطيران ، وهو يسأل النحيل :

ـ من أنت يا رجل ؟! ولماذا يطاردك هؤلاء الرجال بهذا الإصرار ؟!

ازدرد النحيل لعابه فى صعوبة ، وقال ، وهو يتطلَّع خلفه فى توتر :

ـ اسمى (ميلو) .. مدير حسابات واحدة من الشركات التى تنقب عن البترول هنا .. لقد كشفت بالمصادفة البحتة عملية احتيال كبرى ، تتمُّ فى أحد مواقع الشركة .. عملية يقوم بها رئيس العمال الإيطالى الجنسية ، بحيث تحصل بعض الشركات على خام بترولى جيد للغاية ، ثم تتم محاسبتها باعتباره أحد الخامات العادية .. والأرباح فى هذه الحالة تقدَّر بملايين الدولارات ؛ لذا فهم لن يسمحوا لى بالبقاء على قيد الحياة ، وكشف مؤامرتهم قط .

سأله (باسل) :

ـ أتعنى أن هؤلاء الثلاثة يعملون لحساب رئيس العمال الإيطالى هذا ؟!

ازدرد (ميلو) لعابه مرة أخرى بصعوبة أكثر ، وهو يجيب :

ـ هؤلاء الثلاثة هم رئيس العمال ومعاوناه .. إنهم ينفذون كل شىء بأنفسهم .. حتى التخلص ممن يعترضون سبيلهم .. ثم انهارت مشاعره ، فانفجر باكيًا بغتة ، وهو يقول :

ـ ومن الواضح أنهم قد ظفروا بى ، وتحقَّق لهم ما أرادوا ..

أجابه (باسل) فى حزم :

ـ ليس بعد يا رجل .. إنهم لم يظفروا بنا بعد .. هتف الرجل فى مرارة :

ـ وكيف الفكاك منهم ؟! إنهم سيطاردوننا بسيارة قوية للغاية ، مؤهلة تمامًا للسير فى الصحراء وفوق الرمال ، وها أنت ترى المشهد أمامك .. لا يوجد مكان واحد ، يمكننا الاختباء فيه منهم .. صدقنى أيها العربى .. لا أمل فى النجاة ..

أجابه (باسل) فى حزم أكبر :

ـ صدقنى أنت يا رجل .. هناك دائمًا أمل فى النجاة .. ما دمت تعتمد على الأقوى .

سأله (ميلو) فى توتر :

ـ الأقوى ! ومن هذا الأقوى ، الذى أعتمد عليه ؟!

بدا صوت (باسل) عجيبًا ، يجمع ما بين الحزم والقوة ، والخشوع ، وهو يجيب :

ـ الله يا رجل .. الله (سبحانه وتعالى) .. إنه سندنا ومعيننا (عز وجل) ، وسنواجه كل القوى بتوفيقه ورعايته ..

ارتجف الرجل فى رهبة ، وانكمش فى مكانه ، متمتمًا :

ـ ومن أدراك أنه سيرعانا ؟

أجابه (باسل) فى صلابة :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يرعى عباده الصالحين يا رجل .. اطمئن .

كان رئيس العمال ومعاوناه قد استقلوا سيارتهم الجيب القوية فى تلك الحظة ، وهو يقول لهما فى عصبية :

ـ عندما نبلغ الطائرة ، أطلقا عليها كل رصاصاتكما .. انسفاها نسفًا .. المهم ألا أسمع اسم (ميلو) هذا ثانية قط ..

أجابه أحد الرجلين فى حزم ، وهو ينطلق بالسيارة :

ـ اطمئن أيها الزعيم .. سنظفر بهما ..

كان (باسل) ينطلق فى تلك اللحظة بأقصى سرعة ، تسمح بها محركات طائرته ، فوق رمال الصحراء ، ولكن (الجيب) كانت تنهب الأرض نهبًا خلفها ، بحيث تناقصت المسافة بينهما فى سرعة مخيفة ، على نحو ضاعف من قلقه ، وجعله يدرك أنه لو سارت الأمور على هذا النحو ، فسيظفر به الرجال الثلاثة حتمًا ، فى حين هتف (ميلو) فى انهيار :

ـ ألم أقل لك أيها العربى لا أمل ؟!

صاح به (باسل) فى صرامة :

ـ اصمت يا رجل ..

صرخ (ميلو) :

ـ أصمت ! ولماذا أصمت أيها العربى المتحذلق ؟! أيزعجك أن أطلق صرخة ألم ، عندما تخترق رصاصاتهم رأسى ، أم إنك تفضل أن ألقى مصرعى فى صمت ؟!

انعقد حاجبا (باسل) فى شدة ، وهو يقول :

ـ بل أفضل أن تبتلع لسانك ، وتترك لى مساحة للتفكير ..

كانت (الجيب) تقترب أكثر وأكثر ، ورئيس العمال يهتف داخلها :

ـ أطلقا النار .. اتسفاهما نسفًا .. ومع هتافه ، أطلق معاوناه النار نحو الطائرة ، فأخفى (ميلو) رأسه بذراعيه ، مع دوى الرصاصات ، وصوت ارتطامها بجسم الطائرة ، وراح يصرخ :

ـ لا أمل أيها العربى .. لا أمل ..

ازداد انعقاد حاجبى (باسل) ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ ربما يا (ميلو) .. ربما لا أمل فى الفرار ..

ثم أدار عجلة القيادة فى عنف مباغت ، مستطردًا فى حزم صارم :

ـ ولكن ماذا عن المواجهة ؟!

دارت الطائرة حول نفسها بحركة حادة ، مال معها جناحها الأيسر على نحو مخيف ، وارتطم طرفه بالرمال بالفعل ، قبل أن تعتدل الطائرة ، وتنطلق نحو (الجيب) مباشرة ، فى خط مستقيم ..

وفى ارتياع شديد وبعينين اتسعتا عن آخرهما ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ذعرًا ورعبًا ، صرخ (ميلو) :

ـ ماذا ستفعل أيها المجنون ؟!

لم يجب (باسل) وتجاهل الصرخة تمامًا ، وهو يواصل اندفاعه نحو (الجيب) ، التى اتسعت عينا قائدها فى دهشة تمتزج بالتوتر ، وهو يهتف :

ـ إنه مجنون .. مجنون حتمًا ..

أما رئيس العمال ، فقد جف حلقه ، وهو يقول :

ـ لا .. لن يجرؤ .. لن يمكنه أن ...

ولم يحاول إتمام عبارته ، وإنما رفع مسدسه نحو الطائرة ، واعتصر زناده بسبَّابته بكل قوته ..

وانطلقت الرصاصات نحو الطائرة ..

وانهالت عليها كالمطر ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يتوقَّف (باسل) قط ..

لقد واصل الانطلاق نحو (الجيب) ، وكأنما يصر على الارتطام بها بأى ثمن ، والرصاصات ترتطم بجسم الطائرة ، وتتطاير حول رأسه ..

وانكمشت المسافة بين السيارة والطائرة بسرعة مخيفة ..

وانكمشت ..

وانكمشت ..

وفى ذعر ، أدار قائد (الجيب) عجلة قيادتها ، هاتفًا :

ـ إنه مجنون ..

وفى اللحظات نفسها ، جنب (باسل) عجلة القيادة نحوه ، فارتفعت

الطائرة ، وتجاوزت السيارة بعدة أمتار ، قبل أن تعود للهبوط على الرمال ، وتواصل انطلاقها مبتعدة ، نحو الطريق الأسفلتى ، الذى يبدو من بعيد ..

وصرخ رئيس العمال فى ثورة :

ـ لا .. لا تسمحوا له بالفرار ..

وبكل الغضب والتوتر فى أعماق الرجال الثلاثة ، راحوا يطلقون رصاصاتهم خلف الطائرة ، و(ميلو) يهتف بعصبية بالغة :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا سيفعلون بنا ؟!

ومع آخر حروف عبارته ، ارتفعت قعقعة رهيبة ، ثم انهار ذيل الطائرة ، واشتعلت فيه النيران بغتة ..

وانعقد حاجبا (باسل) فى شدة ..

لقد أصيب خزان الوقود ..

وهذا يعنى أن الطائرة فى سبيلها للانفجار ..

وبعنف .

★ ★ ★

٣ ـ العـــربى ..

بسرعة مذهلة ، استرجع عقل (باسل) كل ما تعلمه عن طرق تأمين الطائرات ، ووسائل مقاومة الحرائق ، ودرس الموقف كله فى ثانية واحدة ..

لقد اشتعلت النيران فى ذيل الطائرة ، بالقرب من خزان وقودها ، ولو استمر هذا لعشرين ثانية أخرى ، ستنفجر الطائرة حتمًا ..

ولو قفز مع الرجل منها ، سيلحق بهما رئيس العمال ومعاونـاه حتمًا ، ولن يختلف مصيرهما كثيرًا ، فكل وجوه الموت واحدة ..

إذن فمن المحتم أن يواصل الفرار ، وأن يطفئ النيران فى الوقت ذاته ..

وقبل مرور الثوانى العشرين .. وبمنتهى الحزم ، ودون أن يضيع ثانية واحدة ، اختطف (باسل) أسطوانة إطفاء الحريق ، وهتف بالنحيل :

ـ أمسك عجلة القيادة جيدًا ، وواصل الانطلاق فى خط مستقيم ..

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وهو يسأله :

ـ لماذا ؟! ماذا ستفعل ؟!

تحوّل ارتياعه إلى ذعر هائل ، عندما ترك (باسل) مقعد القيادة ، وأزاح غطاء الكابينة ، وراح يزحف فوق جسم الطائرة ، فى اتجاه الذيل المشتعل ، حاملاً أسطوانة الإطفاء ..

كان يحفظ توازنه بكل ما يملك من قوة ، وهو يتحرك بسرعة حتى بلغ الذيل المشتعل ، فى حين مال النحيل إلى الأمام ، حتى صنع جسده ما يشبه الزاوية القائمة ، ليقبض على عجلة القيادة بكل قوته ، محاولاً الحفاظ على توازن الطائرة ، وعلى توازنه الشخصى أيضا ، أمام حالة لم ير مثلها فى حياته قط ..

ومن بعيد ، رأى رئيس العمال ومعاوناه هذا المشهد العجيب فاتسعت عيونهم فى دهشة ، وانفغرت أفواههم فى بلاهة ، وغمغم أحد المعاونين ذاهلاً :

ـ مستحيل ! هذا الشاب مدهش للغاية ، التفت إليه رئيس العمال بحركة حادة ، وصاح غاضبًا :

ـ بل هو عربى غبى ..

ثم صاح فى الآخر :

ـ انطلق خلفه .. سنثبت لهذا العربى أن نيراننا ستناله حتمًا ، حتى ولو اختفى فى أعماق الأرض .

انطلقت (الجيب) مرة أخرى تطارد الطائرة ، فى نفس الوقت الذى بلغ فيه (باسل) الذيل المشتعل ، وأطلق المادة الرغوية من أسطوانة الإطفاء نحو النيران ، التى استجابت بسرعة ، وانطفأت على الفور ، فهتف فى حماس :

ـ أرأيت يا (ميلو) ؟! الله (سبحانه وتعالى) معنا ، و ....

وثبت الطائرة فى تلك اللحظة ، فوق رمال الصحراء ، على نحو مباغت ، فاختل توازن (باسل) وسقط ..

سقط عن ذيل الطائرة إلى الصحراء ، وارتطم بالرمال فى عنف ، وتدحرج فوقها بقوة ، فى حين واصلت الطائرة ابتعادها بسرعة كبيرة ..

وفى ظفر ، هتف رئيس العمال داخل (الجيب) :

ـ مرحى .. لقد سقط ذلك الطيّار المتحذلق .. سقط من الطائرة يا رفاق .. لقد ظفرنا به ، ولكن (باسل) وثب واقفًا على قدميه فى سرعة مدهشة ، وانطلق يعدو خلف الطائرة ..

وفى عصبية ، هتف قائد (الجيب) ، وهو يضغط دوّاسة وقودها ، محاولاً زيادة سرعتها ، التى بلغت حدّها الأقصى بالفعل :

ـ لن يمكنه اللحاق بها .. هذا الشاب مجنون .. لن يمكنه اللحاق بها قط ..

كان الرجل على حق تمامًا فى قوله هذا ، من الناحية النظرية ، فالعدو فوق الرمال ليس بالأمر السهل أو الهيّن أبدًا ، كما أن سرعة البشر ، مهما بلغت ، لن يمكنها قط اللحاق بطائرة تنطلق فوق الرمال ..

أو الفرار من (جيب) قوية ، بها ثلاثة مجرمين ، يسعون لقتل طريدهم بلا أدنى تردُّد ..

أو أدنى شفقة ..

ولكن (ميلو) المذعور شاهد ما حدث ..

صحيح أن كل ذرة فى كيانه كانت ترتجف خوفًا ، من هؤلاء المجرمين الثلاثة ، وذعرًا مما يمكن أن يفعلوه به ، إلا أن وجوده وحيدًا فى مواجهتهم ، كان يثير فى أعماقه ذعرًا أكبر ألف مرة ..

خاصة وأن الدقائق السابقة ، جعلته يدرك جيدًا أن (باسل) يمكنه مواجهة الموقف معهم .. وأنه الخطة الأولى ، فى طريق الأمل للخلاص منهم ؛ لذا ، فقد أدار (ميلو) عجلة الطائرة ، عائدًا لالتقاط (باسل) ..

وكان مشهدًا رهيبًا ، فى قلب الصحراء ..

(باسل) يعدو بكل قوته ، والطائرة تتجه نحوه من ناحية ، فى حين تنقضّ عليه (الجيب) بكل قوتها وشراستها ، من الناحية الأخرى ..

وفى هلع هتف (ميلو) :

ـ أسرع أيها العربى .. أسرع بالله عليك .. لا تسمح لهم باللحاق بك ..

وفى نفس الوقت ، صاح رئيس العمال :

ـ لا تدعا ذلك الشاب يهرب .. أوقفاه .. أوقفاه بأى ثمن ..

وأضيفت لقطة جديدة إلى المشهد ..

لقطة للرصاصات ، التى انهالت كالمطر ، على (باسل) والطائرة ، وشعر (باسل) بالرصاصات من حوله ، وسمع دويها ، وصوت ارتطامها بالرمال ، فزاد من سرعته ، ووثب يتعلّق بجناح الطائرة ، وفى مشهد آخر رهيب ..

ولجزء من الثانية خُيِّل للنحيل أن (باسل) لن يفلح فى هذا قط ، إلا أنه لم تكد تكتمل الثانية ، حتى وجد نفسه يصرخ فى انفعال جارف :

ـ رباه ! لقد فعلها .. ذلك الشاب العربى المدهش فعلها ، فلقد طار جسد (باسل) فى الهواء ، إثر وثبته المدهشة ، وهبط فوق الجناح الأيمن للطائرة ، فتشبّث به بكل قوته .. ومع ذلك الثقل المباغت ، مال الجناح فى عنف ، وارتطم بالرمال فى قوة ، فتحطّم طرفه ، وطار فى الهواء ، مع عاصفة من الرمال ، فى نفس الوقت الذى قفز فيه (باسل) داخل كابينة القيادة ، وهو يلهث ، قائلاً :

ـ حمدًا لله .. لقد نجحت ، ولكنه لم يكد ينطق العبارة ، ويعود للتشبث بعجلة قيادة الطائرة ، حتى أدرك أن الموقف قد صار بالغ الخطورة إلى حد مخيف ..

فالطائرة ما زالت تنطلق فى الاتجاه العكسى ، نحو (الجيب) تمامًا ، والرصاصات ما زالت تنهال عليها كالمطر ، وقد فقدت ذيلها ، ونصف جناحها الأيمن ، و ....

وصاح (باسل) بكل قوته :

ـ اخفض رأسك يا رجل .

أطاعه (ميلو) بسرعة كبيرة ، مبعثها الخوف والذعر ، فى نفس اللحظة التى انحرف فيها هو بالطائرة إلى اليسار ، لينقض على (الجيب) مباشرة ، ويلتقيان وجهًا لوجه ..

أو بمعنى أدق ، مقدمة الجناح ..

وبكل الدهشة والذعر ، صرخ رئيس العمال :

ـ إنه مجنون .. مجنون ..

واتسعت عيناه فى هلع ، مع مرأى الجناح الأيسر الذى يندفع نحوهم بسرعة مذهلة ، وغاص بجسده ، مستطردًا :

ـ احترسا ... إنه ..

وقبل أن يتم عبارته ، كان جناح الطائرة قد ارتطم بواجهة كابينة قيادة (الجيب) ، وتحطم معها بدوى وعنف شديدين ، وهو يقتلع قمتها ، ويرتطم بأحد معاونى رئيس العمال ، فينتزعه من مكانه ويقتلعه

اقتلاعًا ، ليطيح به أربعة أمتار كاملة إلى الخلف ، وهو يطلق صرخة مدوية ، قبل أن يسقط على الرمال جثة هامدة ..

ودارت الطائرة حول نفسها ، من عنف الارتطام ، فاصطدم ذيلها بمقدمة (الجيب) ، التى توقفت بدورها ، وتصاعدت منها أبخرة كثيفة ..

ولثانية أو ثانيتين ، بدا المشهد كله ثابتًا جامدًا ، وكأنما انمحت منه كل علامات الحيوية والحياة ..

ثم أطل رئيس العمال برأسه من داخل (الجيب) التى فقدت قمتها ، وهو يحمل مسدسه ، صارخًا :

ـ لقد قتل (ألفريد) .. ذلك العربى قتل (ألفريد) .

أطلق صرخته مع رصاصاته ، التى دوت فى المكان ، وهى تخترق جسم الطائرة ..

أو ما تبقى منه ، لو شئنا الدقة ..

ولكن (باسل) خفض رأسه بدوره ، وهو يدير محركاتها مرة أخرى ، ويدير عجلة قيادتها ، ثم ينطلق بها مبتعدًا ، نحو الطريق الأسفلتى ، ومن خلفه (ميلو) يصرخ ، فى ألم مذعور :

ـ لقد أصابونى .. رصاصة اخترقت ساقى .

لم يكن من الممكن أن يتوقَّف (باسل) أمام صرخات النحيل ، فهو يعلم جيّدًا أن التوقف فى تلك اللحظات يعنى الموت ..

والموت وحده ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ رئيس العمال فى معاونه المتبقى :

ـ الحقْ بهما .. لا تجعلهما يفلتان .

أجابه الرجل فى غضب مماثل ، وهو يصوب مسدسه إلى الطائرة :

ـ اطمئن أيها الزعيم .. لن يمكنهما الذهاب بعيدًا ..

وأطلق رصاصاته ..

وفى هذه المرة ، وكما حدث المرة السابقة ، أصابت رصاصاته كلها الهدف المنشود ..

وبمنتهى الدقة .

★ ★ ★

٤ ـ الأمـــل ..

من المؤكد أن معاون رئيس العمال هذا كان يجيد التصويب إلى حد كبير ، فقد أصابت رصاصاته دفة الطائرة وحطمتها ، فى المرة الأولى ، ثم نجحت فى إصابة هدفها فى المرة الثانية أيضًا ..

وكان الهدف فى تلك المرة أقوى تأثيرًا ..

كانت إطارات الطائرة العريضة ، التى تسمح لها بالسير على الرمال ..

لقد أصابت رصاصاته الإطار الأمامى ، والخلفى الأيسر ، فانفجرا فى قوة ، وفقدت الطائرة مع انفجارهما توازنها ، وإن واصلت اندفاعها فوق الرمال لبضعة أمتار ، قبل أن ينغرس القلب المعدنى للإطار الأمامى فى الرمال ، فتوقف عن الحركة تمامًا ..

وفى ظفر ، صرخ رئيس العمال :

ـ مرحى يا رجل .. لقد فعلتها ..

وألقى الخزانة الفارغة للمسدس فى الصحراء ، قبل أن يضع مكانها خزانة جديدة ، ممتلئة بالرصاصات ، ويشير بيده ، مستطردًا فى عصبية :

ـ هيا .. دعنا نذهب إليهما ، وننهى هذه المهمة :

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها (الجيب) نحو الطائرة ، كان (باسل) يعاون (ميلو) على الخروج منها ، وهذا الأخير يصرخ فى يأس مذعورًا ، وهو يمسك ساقه المصابة بيده :

ـ لا أمل .. لا أمل .. لقد انتهى أمرنا .. لا أمل .

صاح به (باسل) فى صرامة :

ـ قلت لك : لا تفقد الأمل أبدًا يا رجل .

صرخ فيه (ميلو) :

ـ كفى أيها العربى .. كف عن فلسفتك الحمقاء الخرقاء هذه .. إنها لم تعد تفيد .. لقد انتهى أمرنا ، وظفر بنا رئيس العمال .

انعقد حاجبا (باسل) فى شدة ، وهو يجذبه خارج الطائرة ، قائلاً فى حزم :

ـ من يدرى ؟! الله (سبحانه وتعالى) وحده يملك حياة عباده .

صرخ (ميلو) فى انبهار :

ـ فلسفة .. فلسفة .. لم يعد لديك سواها أيها العربى .

أجابه (باسل) فى صرامة :

ـ فليكن يا رجل .. لن يمكنك أن تفهم هذا أبدًا ، ما دمت لا تمتلك الإيمان الكافى بالله (عز وجل) .. المهم الآن أن نبتعد عن الطائرة

بقدر الإمكان ، فالوقود يسيل منها ، بعد إصابة الخزان ، وأية شرارة صغيرة سوف تؤدى إلى اشتعال النيران ، و ...

قاطعه (ميلو) فى حدة يائسة :

ـ وما الفارق أيها العربى ؟! تعددت الأسباب والموت واحد .. لقد انتهى أمرنا على أية حال .

انعقد حاجبا (باسل) ، وهو يستمع إلى عبارة (ميلو) ، وعيناه معلقتان بالسيارة (الجيب) ، التى اقتربت كثيرًا بالفعل ، وبدا له لحظة أن الرجل على حق ، وأن أمرهما قد انتهى ، و ...

وفجأة ، ودون سابق إنذار ، اشتعلت النيران فى مقدمة (الجيب) ، التى ضغط قائدها فراملها بأقصى قوته ، ووثب منها ، مع رئيس العمال ، وراحا يعدوان مبتعدين عنها ، والأخير يصرخ فى انفعال :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

أجابه معاونه فى عصبية :

ـ إنه مبرد المياه .. لقد تحطم إثر ارتطامنا بذيل الطائرة على الأرجح ، فتزايدت حرارة المحرك ، و .....

صرخ رئيس العمال فى غضب هادر :

ـ لا أريد أية تبريرات .. دع التبريرات والتفسيرات لما بعد .. المهم أن نلحق بالطيار و(ميلو) .

بلغ صراخه مسامع (باسل) ، فانعقد حاجباه بشدة ، وأعاد عقله دراسة الموقف كله ، قبل أن يندفع نحو الطائرة ، ويلتقط من كابينتها مسدس إشارة صغير ، وهو يقول فى حزم :

ـ أرأيت يا سيد (ميلو) .. ها هو ذا الله (سبحانه وتعالى) ، يمنحنا فرصة أخرى للحياة !

اتسعت عينا (ميلو) ، وفغر فاه مشدوهًا ، قبل أن يقول فى مرارة يائسة :

ـ فرصة لك وحدك أيها العربى .. يمكنك أن تعدو هاربًا بأقصى سرعتك .. أما أنا ، وبساقى المصابة هذه ، فلن ...

قاطعه (باسل) فى حزم ، وهو يجذبه من ذراعه :

ـ اطمئن .. لن أتخلى عنك قط ..

وراح يعدو به ، بقدر استطاعتهما ، مبتعدين عن الطائرة ، فحدق فيه (ميلو) فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا تفعل كل هذا من أجلى ؟!

أجابه (باسل) فى حزم :

ـ لا يمكنك فهم أو استيعاب الشهامة العربية فى كلمات محدودة يا رجل ، والوقت لا يسعفنا لشرح مستفيض .

قال (ميلو) :

ـ ولكن كل هذا لن يفيد .. سيلحقان بنا حتمًا ، فهما أكثر قوة ، كما أنهما يحملان مسدسات حقيقية ، وليس مسدس إشارة بسيط كهذا .

استوقفه (باسل) ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟! ربما يفعل مسدس الإشارة هذا الكثير .

ثم استدار يواجه الطائرة ، التى بلغها الرجلان ، وهما يعدوان خلفهما ، وصوَّب إليها مسدس الإشارة ..

وأطلقه ..

وانطلقت طلقة الإشارة المشتعلة الصغيرة نحو الطائرة ، فهتف رئيس العمال فى عصبية ساخرة :

ـ ما الذى يتصور ذلك العربى إنه يفعله ؟! هل يعتقد أنه يستطيع إيقافنا بهذا ؟!

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى أدرك أن (باسل) لم يكن يعبث أبدًا ..

لقد سقطت الطلقة المشتعلة إلى جوار الطائرة ، حيث يتسرب الوقود ، ولم تكد تلامسه ، حتى اشتعلت النيران بغتة ، فى كل المساحة التى انتشر فيها الوقود ، على الرغم من أن الرمال قد ابتلعت معظمه ..

وفوجئ رئيس العمال بالنيران مشتعلة فى سترته ، فى حين تحوَّل معاونه ، الذى كان واقفًا على قدميه ، إلى شعلة من اللهب ، وراح يصرخ ويعدو كالمجنون ..

وبكل غضبه ، صرخ المجرم فى ثورة :

ـ لن تفلت بهذا أيها العربى .. لن تفلت قط .

كانت صرخات معاونه قد توقفت ، بعد أن لقى حتفه وسط النيران ، ولكنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يعدو بكل غضبه وقوته نحو (باسل) ، ويطلق رصاصات مسدسه فى ثورة ساخطة ..

وأصابت إحدى الرصاصات (باسل) فى كتفه ، فى حين اخترقت ثانية فخذ (ميلو) ، الذى راح يصرخ ويولول على نحو مقزز ، هاتفًا :

ـ لا .. لا تقتلنى .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت .

لحق بهما رئيس العمال فى تلك اللحظة ، ولهث فى عنف ، وهو يصرخ فى انفعال :

ـ بل ستموت يا (ميلو) .. ستلقى مصرعك ؛ لأنك تصورت أنك تستطيع خداعنا ، والفوز بالغنيمة كلها وحدك .

هتف (باسل) فى دهشة :

ـ الفوز بالغنيمة ! إذن فهم لا يطاردونك لأنك كشفت أمرهم يا رجل !

أطلق رئيس العمال ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول بنفس الانفعال اللاهث :

ـ كشف أمرنا ! أهذا ما أوهمك به أيها العربى ؟! ألهذا بذلت كل ما بذلت من أجله ؟! كنت تتصور أنك تحمى بريئا .. أليس كذلك ؟! كلا أيها العبقرى .. (ميلو) هو الرأس المدبر لكل ما نفعله .. جعلنا نخدع الشركة لعام كامل ، ثم استولى على الغنيمة كلها ، وحولها لحسابه فى (سويسرا) ، وأراد الفرار منا ، ولكننا كشفنا أمره ، وقررنا قتله ، جزاء ما فعله بنا ..

واشتعلت عيناه بالغضب ، وهو يتابع :

ـ الفارق الوحيد هو أنك ستصحبه إلى الجحيم أيها العربى .. بل ستسبقه إليه ، فقد قررت قتلك أولاً .

أجابه (باسل) فى صلابة :

ـ الجحيم لأمثالكم فحسب أيها المجرمون .

صوَّب الرجل مسدسه إلى رأس (باسل) ، قائلاً :

ـ عبارة أنيقة أيها العربى .. أعدك أن أنقشها على قبرك .. وداعًا أيها المتحذلق .

وانطلقت الرصاصات فى قلب الصحراء ..

ولكنها لم تنطلق نحو (باسل) ، وإنما انطلقت نحو رئيس العمال ، الذى تراجع مذعورًا ، وحدَّق فى رجال الشرطة الذين يعدون نحوه ، هاتفًا :

ـ لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

أما (باسل) ، فقد لمح بين رجال الشرطة فنى الإصلاح (رشدى) الذى هرع نحوه ، هاتفًا :

ـ أستاذ (باسل) .. حمدًا لله .. لقد وصلنا فى الوقت المناسب .. لقد كشفت تلف جهاز اللاسلكى ، عندما تأخرت فى العودة بطائرتك إلى المطار ، وخشيت أن يكون قد أصابك مكروه ، فأبلغت الشرطة ، وخرجنا للبحث عنك ، ومن حسن حظنا أننا قد وصلنا فى الوقت المناسب .

قالها ، وهو يصافح (باسل) فى سعادة وحرارة ، فى حين تطلَّع هذا الأخير مبهورًا إلى رجال الشرطة ، الذين أحاطوا برئيس العمال و(ميلو) ، ثم التفت إلى (رشدى) ، قائلاً :

ـ هذا يثبت إنه لا ينبغى أن نفقد الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) يا رجل .. لا ينبغى أن نفقده أبدًا .. مهما كانت الظروف .

وعندما انطلقت بهم سيارات الشرطة ، عائدة إلى المدينة ، كان (باسل) يفكر فى طائرة جديدة ، و ....

وأمل جديد ..

★ ★ ★

[تمـــت]

إهـــداء

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

حبيبى

دراسة

٦ـ النفس وما تهوى

٦ـ النفس وما تهوى ..

ترى أية صفة بالتحديد ، يمكن أن تدفعك إلى الوقوع فى حب شخص ما ؟!

أهى قوته ..

أم جماله ..

أم طيبته ..

أم روحه المرحة ؟

أم ..

أم ..

الواقع أنه لو أجريت استفتاءً عامًا بين المحبين ، لما أمكنك أن تحصر جوابًا واضحًا فى هذا الشأن ..

لأنه فى هذه النقطة بالذات ، يختلف كل مخلوق عن الآخر اختلافًا بينًا ، لا يرجع إلى طبيعته وشخصيته فحسب ، ولكنه يرتبط بجيناته أيضًا ، وبحياته ومنشئه على وجه عام ..

وربما كان لهذا العامل الأخير التأثير الأعظم ، فى الغالبية العظمى من حالات الحب ..

فالطب النفسى يقول : إن الإنسان يحب فى الطرف الآخر أمرًا افتقده فى حياته ، ويسعى إليه طيلة عمره ..

الشخص الذى حرم من الحنان فى طفولته ، أو عانى عذابًا أو قسوة ، قد يقع فى الحب ، إذا ما شعر بحنان الطرف الآخر ، أو دفء مشاعره ..

بل ويجد نفسه مدفوعًا بقوة ، نحو أية لمسة حانية ، أو همسة رقيقة ..

لهذا قد تجد رجلاً غايةً فى الوسامة ، غارقًا حتى أذنيه فى حب امرأة ، يرى الكل أنها تفتقر إلى كل مقومات الجمال أو الإثارة ، بل ويبدون دهشتهم الشديدة من شدة عشقه لها ، إلا أنه فى الواقع منجذب إلى حناتها ، وما يمنحه إياه من شعور بالأمان والاستقرار ..

والعكس أكثر شيوعًا ، وهو أن تجد فتاة رقيقة جميلة ، تعشق رجلاً خشن المظهر ، أو يكبرها فى العمر ؛ لأنها وجدت لديه الحنان الذى تبحث عنه منذ طفولتها ..

والابنة التى نشأت فى كنف أب صارم متزمت ، قد تعشق فى شبابها شابًا مرحًا منطلقًا ..

وهكذا ..

فمشكلة الحب الرئيسية ، هى أنه يكمن دومًا فى جزء خفى عميق من كينوناتنا .. جزء نجهل كل شىء عنه ..

وحوله ..

جزء يثب من مكمنه بغتة ، فى لحظة نجهلها ، ليسيطر على كل ذاتنا ، دون أن نملك له ردًا أو دفاعًا ..

وقد لا ندرك حقيقة ذلك الجزء الخفى أبدًا ، حتى بعد أن نحب ، ونعشق ونتزوج ، وننجب أيضًا ..

والواقع أن هذا لا يهم ..

ليس من الضرورى أن نعرف ماهية الحب ..

ولا لماذا أحببنا ..

المهم أن نحب ..

وألا نضيع هذا الحب ، مهما كان الثمن ..

المشكلة أننا نخشى بشدة حالة الوقوع فى الحب ، عندما نشعر بها فجأة ..

فالناس أعداء ما يجهلون ..

وما يعجزون عن فهمه أيضًا ..

ففى لحظة ، يكونون أحرارًا ..

وفى اللحظة التالية يجدون أنفسهم أسرى الحب ..

هذا لا يعنى أن الحب يحدث فى لحظة ، أو من النظرة الأولى ، كما تحب روايات الرومانسية أن تقنعنا ..

إنما الواقع أننا ننتبه إليه فجأة ..

ففى البداية يكون هناك انجذاب ..

واهتمام ..

ومتابعة ..

و .....

وفجأة ! يأتى عامل ما ، ليفجر الحقيقة داخلنا ، دون تمهيد ..

حقيقة أننا نحب ..

وذلك العامل قد يكون غياب المحب ..

أو مرضه ..

أو عودته ..

أو حتى لمحة عن احتمال وقوعه فى حب شخص آخر ..

والفتيات أكثر من يدركن هذه الحقيقة ..

حقيقة العامل الخفى للحب ..

فعندما تريد الواحدة منهن اختبار عواطف شخص ما نحوها ، تجدها تختفى من حياته فجأة ..

أو تفتعل معه مشكلة وهمية ..

أو تروى له مأساة مفتعلة ..

المهم أن تفجّر داخله عاملاً ما ..

عاملاً تجهله ..

ويجهله ..

وعادة ما ينجح هذا الأسلوب تمامًا ..

ولكن ليس بالضرورة أن يسفر عما تنشده الفتاة ..

فقد يدرك الشاب طبيعة مشاعره نحوها ..

أو انعدامها ..

أو هو لن يدرك انعدامها ..

ولكنها هى ستدركها ..

وسيتحطم حبها ..

وقلبها ..

وتتصور أن عمرها قد انتهى ..

وأنها لن تحب مرة أخرى ..

و ....

ولكن الزمن سيمر ..

ويندمل الجرح ..

ويشفى القلب ..

ويتفتح ..

ويأتى حب جديد ..

واختبار جديد ..

وما تهواه المرأة فى الرجل ، يختلف تمامًا عما يهواه الرجل فى المرأة ؛ بسبب اختلاف نوعيتهما ، ومنظور كل منهما للحياة ..

وللحب ..

واختلاف المنظور هذا ، هو الذى يسبب كل مشكلات الحب ، والزواج ، والارتباط بين الجنسين ..

ففى آخر الأبحاث العلمية ، والتى ترفض الجمعيات النسائية الاعتراف بها فى تعنت مضحك ، أثبتت الجينات أن الرجل كائن متعدد ، والأنثى كائن منفرد ..

وهذا يعنى أن قلب الرجل يسمح له بالوقوع فى أكثر من حب ، فى آن واحد ، فى حين أن المرأة لا يمكن أن تقع إلا فى حب شخص واحد ، فى الوقت الواحد ..

وهذه النتيجة تبدو لى علمية ومنطقية ؛ باعتبار أن الذكور فى كل الكائنات قادرة على التزاوج مع أكثر من أنثى ، فى حين أن الأنثى لا يمكن أن تتزاوج إلا مع ذكر واحد ..

والرجل مؤهل للزواج بمثنى وثلاث ورباع (على الرغم من إصرار البعض على نفى هذا) ، فى حين أن الأنثى غير مؤهلة لهذا !!

المهم أن هذا الاختلاف الجوهرى يدفع المرأة دومًا لاستنكار تصرفات الرجل ، ويدفعه هو لإخفاء تلك التصرفات عنها ..

ومن ناحية أخرى ، فالمرأة تثق فى حقيقة تعدد مشاعر الرجل ؛ بدليل أنها تخشى نظراته لأخرى ، وحديثه مع صديقة ..

أو زميلة ..

أو رفيقة حفل ..

وقديمًا كانت النساء تدرك هذا أيضًا ، ولكنهن كن يتعاملن مع الموقف أو يتغاضين عنه ..

والحياة تسير ..

ثم تطوّرت الدنيا ، وحصلت المرأة على حريتها ..

ولم تعد تتغاضى ..

أو تتنازل ..

أو تتجاوز ..

وبدأ الحديث عن الشخصية ..

والكرامة ..

وعزة النفس ..

وبدأ القتال ..

والصراع ..

وتعدَّدت حالات الانفصال ..

والطلاق ..

ولم يتغير الرجل ..

كل ما حدث هو أنه قد تعلم كيف يخفى انفعالاته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولأن مشاعر المرأة أكثر رقيًا من مشاعر الرجل ..

وأنها ترغب أكثر فى الأمان والاستقرار ..

فقد عاد الأمر يتراجع ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

وعادت النساء تتغاضى ..

وتتجاهل ..

وتتنازل ..

و .....

ويبقى الحب ، هو الصمام ..

صمام الأمان ..

الوحيد ..

★ ★ ★

١ ـ معلومات ..

امتدت الظلال داكنة مخيفة ، عبر الوادى الأزرق الكبير ، مع هبوط قرص الشمس ، الذى اكتسب لونًا أحمر زاهيًا ، خلف الجبال العالية ، التى تفصل الوادى عن المدينة الكبيرة ، ذات القبة الزجاجية الذهبية السميكة ، التى يحيا تحتها المتحورون ، الذين أكسبتهم الحرب النووية الطاحنة ، فى منتصف القرن الحادى والعشرين ، صفات وسمات وحشية رهيبة ، منحتهم تفوقًا جسديًا ملحوظًا ، على سكان الوادى الأزرق ، الذين احتفظوا ببشريتهم ومشاعرهم الآدمية الراقية ، على الرغم من ضعفهم ..

ومع الغروب ، انعكست أشعة الشمس على القبة ، ذات البريق الذهبى ، فضاعفت من تألقها ، على نحو جعلها تبدو أشبه بشمس ثانية ، تنبع من الأرض ..

وفى ذلك اليوم بالتحديد ، الذى بدأت فيه قصتنا هذه ، شعر سكان الوادى الأزرق بقلق وخوف مبهمين ؛ عندما لاحظوا أن تألق القبة الزجاجية قد زاد عن المألوف بمرتين أو ثلاث على الأقل ..

ثم راح تألقها يتزايد ..

ويتزايد ..

ويتزايد ..

ولأنهم فقدوا كل ذرة من الثقة ، تجاه المتحورين ، وأيقنوا من أن نواياهم ليست جيدة ، ولا يمكن أن تكون كذلك ، بأى حال من الأحوال ، فقد ارتجفت قلوبهم بين صدورهم ، مع هذا التطور الجديد ، وآثروا الكمون فى كهوفهم الجبلية ؛ خشية أن يكون هذا مقدمة لأمر رهيب ، يضمر فيه المتحورون لهم الشر ..

كل الشر ..

أما فى المدينة الكبيرة ، وتحت القبة الزجاجية الذهبية ، فقد كان قائد الأمن يقول لزعيم المتحورين ، فى حذر واضح :

ـ لقد نفذنا أوامرك بالضبط أيها الزعيم .. الطاقة الجديدة ستضىء القبة ، وكل المنطقة المحيطة بالمدينة ، على نحو لا يسمح بتسلل أى مخلوق إليها .

وصمت لحظة فى تردُّد ، قبل أن يضيف فى حذر أكثر :

ـ حتى ذلك الفارس .

مطَّ زعيم المتحورين شفتيه ، وانطلقت من حلقه زمجرة محدودة ، قبل أن يقول ، بصوته الخشن الغليظ :

ـ هذا بالنسبة للخارج .

سرت ارتجافة باردة ، فى جسد قائد الأمن ، واعتدل فى وقفة عسكرية قوية ، لم تخف توتره ، وهو يرهف سمعه للزعيم ، الذى مال نحوه ، مضيفًا بلهجة وحشية مخيفة :

ـ فماذا عن الداخل ؟!

كان قائد الأمن ينتظر هذا السؤال ويتوقّعه ؛ لذا فقد أجاب فى سرعة وتوتر :

ـ لقد بذلنا كل جهدنا أيها الزعيم .

صرخ الزعيم فى وجهه ، فى غضب وحشى هادر :

ـ ليس كافيًا .

اندفع قائد الأمن ، يجيب فى توتر :

ـ لقد استخدمنا كل التكنولوجيا المتاحة لدينا ، وفحصنا كل شبر فى المدينة ، دون أن نعثر على ذلك النفق المزعوم .

صرخ الزعيم ، فى غضب هادر مستنكر :

ـ المزعوم !

انتفض جسد قائد الأمن ، وقال بصوت ، لم يستطع كتمان ارتجافته :

ـ أوامزك أيها الزعيم .

لم يكن لدى الزعيم ما يمكنه إضافته ، فى هذا الصراع ، الذى يستفز كل ذرة من كيانه الوحشى ؛ لذا فقد اعتدل ، ومطَّ شفتيه ، وعقد حاجبيه الكثين فى شدة ، وشعر بمخالبه وأنيابه تبرز ،

دون وعى منه ، فبذل جهدًا عنيفًا لمنعهما ، وهو يتحرك فى قاعة عرشه الواسعة ، التى تم إصلاحها مؤخرًا ، بعد قتاله العنيف فيها ، مع الفارس السابق والحالى(*) ، قبل أن يتوقَّف فجأة ، قائلاً :

ـ إنه يتفوق علينا .

تنحنح قائد أمنه فى توتر ، وغمغم :

ـ ليس إلى هذا الحد أيها الزعيم ، فـ ...

قاطعه الزعيم ، فى صرامة شديدة :

ـ كونه يعلم أين يجدنا ، فى حين نجهل نحن أين نجده ، يعنى أنه يتفوق علينا .

تنحنح قائد الأمن مرة أخرى ، دون أن يجيب ، فى حين عاود الزعيم سيره ، وتابع وكأنه يحدث نفسه :

ـ حتى من الناحية التكنولوجية ، من الواضح أنه يبدو أكثر تفوقًا ، على الرغم من أنه رجل واحد .. من الواضح أنه يستفيد كثيرًا من ميراث العالم القديم .. وبالذات فى مجال الخداع البصرى ، والـ ....

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الكتاب الأربعين ، من سلسلة (كوكتيل ٢٠٠٠) ، تحت عنوان (المتحورون) .

بتر عبارته دفعة واحدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وبدا وكأنه يشحذ اهتمامه وانتباهه كليهما فى نقطة واحدة ، حتى إن قائد أمنه قد لاذ بالصمت التام ، وهو يتطلّع إليه مبهوتًا فى قلق ، وواثقًا من أنه سيخرج بعد قليل بفكرة جديدة ..

عجيبة ..

ومخيفة ..

ومن الواضح أنه يفهم زعيمه جيدًا ؛ ففجأة !

التفت إليه الزعيم ، متسائلاً فى حدة :

ـ أين تسجيلات المراقبة ؟!

ارتجف قائد الأمن ، دون سبب واضح ، وهو يقول :

ـ أية تسجيلات ؟!

زمجر الزعيم ، قائلاً فى شراسة :

ـ تسجيلات آلات المراقبة ، التى سجلت هجوم ذلك الفارس ، على مقر الزعامة .

هتف قائد الأمن فى توتر :

ـ فورًا أيها الزعيم .

واندفع لتنفيذ الأمر ، فى حين اعتدل الزعيم ، والتقى حاجباه الكثان على نحو مخيف ، وهو يقول لنفسه :

ـ خطأ .. كل ما نفعله منذ البداية خطأ .

ففى أعماقه ، كانت تتكون خطة جديدة ..

خطة جديدة تمامًا ..

★★★

ربت الفارس الشاب ، على عنق جواد معلمه الراحل ، فى حنان مشفق ، ومال على أذنه ، يحدثه وكأنهما صديقان قديمان :

ـ ماذا أصابك يا صديقى ؟! لماذا امتنعت عن تناول الطعام ، منذ رحل المعلم ؟! ألم تر كيف أصابك الهزال إلى حد مقلق ؟! إننى أتمزق حزنًا على رحيله مثلك ، ولكن دعنا نستعيد كلماته .. الحياة لا بد وأن تستمر .

أطلق الجواد صهيلاً ضعيفًا ، فربت عليه الفارس الشاب مرة أخرى ، وهمس :

ـ صدقنى .. ما تفعله كان كفيلاً بخذلانه ، لو أنه على قيد الحياة ؛ فلم يكن يرضى بالتخاذل والانهزام أبدًا .

مال الجواد بعنقه ، وخُيِّل للفارس الشاب (أمل) أن عينيه حملتا حزن ومرارة الدنيا كلها ، وكأنما يرغب فى البكاء على سيده الراحل ، فكتم مشاعره فى صعوبة ، وتمتم :

ـ لا بد أن نحيا يا صديقى .. وأن نقاوم .. ونقاتل .. صدقنى .. هذا ما كان سيخبرك به بنفسه ، لو ظل على قيد الحياة .

أومأ الجـواد برأسـه ، وكأنما فهم الأمر واستوعبه ، إلا أنه لـم يلبث أن أشـاح بوجهـه عن طعامـه ، فتنهَّـد الفـارس الشـاب ، وقـال :

ـ فليكن يا صديقى .. إنه قرارك .

قالها ، وانتقل إلى حيث تراصت عدة شاشات مراقبـة ، وراح يطالعها كلها فى اهتمام ، قبل أن يقول محدثًا لنفسه :

ـ المتحورون يسعون لأمر ما .. هجوم وحشى ، أو لعبة بحث وانتقام .. يبدو أن المرحلة القادمة ستشهد صراعًا عنيفًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

ـ أول صراع أخوضه بمفردى .

دار بصره ، ليتوقف عند قبر أستاذه ومعلمه ، قبل أن يتابع فى حزن :

ـ وسأخوضه من أجلك .

خُيِّل إليه أن كلمات أستاذه تتردد عندئذ فى ذهنه :

ـ لا تقاتل إلا من أجل الحق والعدل .. الحق والعدل وحدهما .

وهنا شد قامته فى قوة ، وغمغم ، وكأنما يجيب مـا تردَّد فى ذهنه :

ـ بالتأكيد .

كان يدرك أن أمامه عشرات ، بل مئات المعلومات ، التى ينبغى أن يستوعبها جيدًا ، من أجل المرحلة القادمة ..

معلومات عن المدينـة الكبيرة ، والمتحورين ، وسبل القتـال ، وتكنولوجيا الرصد ، والتتبع ، و ....

توقفت أفكاره دفعة واحدة ، عندما لمح جواد المعلم وهو يقبل على طعامه ، لأول مرة منذ رحيل سيده ، فابتسم متمتمًا :

ـ نعم .. الحياة لا بد وأن تستمر .

اتسعت ابتسامته ، وهو يسترجع حديثه مع الجواد ، والذى بـدا وكأنه قد استوعبه على نحو ما ، و ....

وفجأة ! توقفت كل أفكار الفارس الشاب ، وتجمَّدت فى ذهنـه ، واستدار بصره بحركة حادة ، إلى حيث يقف ذلك المهر المجنَّـح ، الذى منحه إياه معلمه ..

وقفز التساؤل دفعة واحدة ، إلى كل خلية فى جسده !

كيف جاء ذلك المهر ؟!

كيف نشأ ؟!

الحياة تنشأ فى كل الكائنات العليا ، من ذكر وأنثى ، وهو لم ير فى حياته كلها سوى جواد واحد مجنح !!

لم يدر كيف لم تخطر الفكرة فى ذهنه من قبل ، ولكنها دفعته دفعًا إلى خزانة الملفات والمعلومات ، التى تحتل واحدة من حجرات الوكر ، وراح يبحث فيها فى لهفة عن ملف الجواد ، حتى التقط الأسطوانة المدمجة الصغيرة ، التى تحوى كل تاريخه وبياناته ، وهو يغمغم :

ـ أظن أنه من الضرورى أن أعرف الكثير عنك أولاً يا صديقى .

أسرع إلى جهاز الكمبيوتر الصغير ، ودس الأسطوانة ، التى لا يتجاوز حجمها حجم عملة معدنية عادية ، فى تجويف خاص به ، وانطلقت أصابعه تضغط أزراره فى لهفة ، حتى راحت البيانات تتراص أمامه على الشاشة ..

ومع تتابع المعلومات ، اتسعت عينا (أمل) عن آخرهما ..

فما عرفه ، وما يراه أمامه ، كان أمرًا يفوق كل تصوراته !!

بل كل إدراكه !!

على الإطلاق !

★★★

لاذ زعيم المتحورين بالصمت التام ، لأكثر من ساعة كاملة ، وهو يجلس على عرشه الذهبى الضخم كتمثال من الرخام ، يتابع مشاهد هجوم الفارس على قصره مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وبعد كل هذا الوقت ، الذى لم يجرؤ خلاله قائد أمنه ، على أن ينبس بحرف واحد ، اعتدل الزعيم ، وضغط أزرار شاشة العرض الجديدة ، لتكبير المشهد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى اهتمام وتركيز بالغين ، مال نحو الشاشة ، يفحصها بدقة متناهية ، قبل أن يتمتم فى غضب :

ـ لم تكن صورة هولوجرامية .

غمغم قائد الأمن ، بمنتهى الحذر :

ـ لم تكن ماذا ؟!

استدار إليه الزعيم ، وإن بدا وكأنه يتحدث إلى نفسه ، دون أن يشعر بوجوده على الإطلاق ، وهو يتابع فى حدة :

ـ وأنا الذى تصورت فى البداية ، أنه مجرد خداع بصرى .

أدار عينيه بعد العبارة ، إلى قائد أمنه ، فشد هذا الأخير قامته بحركة غريزية ، وهو يهتف :

ـ أيها الزعيم .

وهنا ، أشار إليه الزعيم فى شراسة ، قائلاً :

ـ كانا فارسين ، وليس فارسًا واحدًا .

اتسعت عينا قائد الأمن ، وخفق قلبه فى عنف ، وهو يهتف :

ـ فارسان !

فمنذ البداية ، كان يشعر بثقل رهيب ، يجثم على صدره ؛ لأنه مضطر لمواجهة فارس كهذا فما بالك بفارسين ؟!

أما الزعيم ، فقد بدا وكأن غضبه قد بلغ ذروته ، وهو مسند عرشه الضخم بقبضته ، صائحًا :

ـ كنت أعلم أننا نخطئ منذ البداية .

سيطر قائد أمنه على أعصابه بالكاد ، واستجمع شجاعته ليقول :

ـ ولكن هذا لم يبد واضحًا أبدًا ، فى كل مواجهاتنا السابقة معه أيها الزعيم .

كان قوله حقيقيًا ومنطقيًا تمامًا ؛ لذا فقد انعقد حاجبا الزعيم الكثان بشدة ، وبدا غاضبًا متجهمًا بعض الوقت ، قبل أن تلين أساريره بغتة ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أننى قد أرديت أحدهما على الأقل .

لم يدر قائد الأمن ، من أين أتى الزعيم بفكرته هذه ، إلا أنه تمتم فى سرعة :

ـ بالتأكيد أيها الزعيم .. بالتأكيد .

شرد الزعيم ببصره لحظات ، ثم هب واقفًا فجأة ، وهبط فى درجات السلم القصيرة ، إلى أرضية القاعة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هل تعلم فيم أخطأنا يا قائد الأمن ؟

تردَّد قائد الأمن لحظة ، وحار فى البحث عن الجواب ، وقبل حتى أن تكتمل حيرته ، تابع الزعيم ، وكأنه لم يكن ينتظر جوابه :

ـ إننا كنا نحاربه بالوسائل التكنولوجية الحديثة ، التى يتفوق فيها .. كنا ، دون أن ندرى ، نمنحه الفرصة لخداعنا ، وهزيمتنا ، والسخرية منا .

تساءل قائد الأمن ، فى حيرة حذر :

ـ كيف نحاربه إذن أيها الزعيم ؟

التفت إليه الزعيم ، وتألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يجيب :

ـ تمامًا كما كانوا يحاربون فى (روما) القديمة .. فى الماضى .

ولم يفهمه أبدًا ..

* * *

نصف ساعة كاملة مضت ، والفارس الشاب (أمل) يراجع ملف ذلك الجواد المجنَّح ، والانبهار يملأ نفسه ، ويسيطر على جوارحه ، ويهيمن على كيانه كله .. فعلى عكس ما تصوَّر منذ البداية ، لم يكن جواد المعلم مجرَّد حيوان متحور ، من تلك التى تسللت آثار الحرب النووية الطاحنة إلى جيناتها ، وأبدلتها ، وصنعت منها كائنات جديدة مختلفة ..

لقد كان نتاج تجربة علمية جبارة ..

تجربة نمت بذورها الأولى قبيل الحرب النووية ببضع سنوات ، وتطوَّرت إلى حد ما مع بدايتها ، ثم لم تلبث أن انهارت ، مع انهيار الحضارة كلها من حولها ..

تجربة فى هندسة الجينات ..

أو هندسة الوراثة ..

وفى زمنها ، أطلق على التجربة اسم (بيجاسوس) ، وهو ذلك الجواد المجنح الأسطورى ، الذى نبت من دماء (ميدوسا) ، بعد أن قطع (برسيوس) رأسها ، الذى تنبت منه الأفاعى ، فى الميثولوجيا الإغريقية القديمة(*) ..

فمع تطور علم العبث بالجينات ، فى الربع الأول من القرن الحادى والعشرين ، سعى فريق من العلماء إلى إعادة إنتاج ذلك الحيوان الأسطورى المبهر ، عن طريق مزج جينات جواد ، بجينات نسر عملاق ، مع لمحة من جينات آدمية ..

نعم .. آدمية ..

إنك لم تخطئ قراءة الكلمة ..

ومع التكنولوجيا شديدة التطوَر آنذاك ، نجح ما كان يتصوَّره العلماء قديمًا من المستحيلات ، وامتزجت جينات الحيوان والطير والبشر ..

واكتمل العبث ..

وخرجت نطفة أول جواد مجنح إلى الوجود ..

ثم كان ما كان ..

وتوقف كل شىء ..

(*) راجع أسطورة (ميدوسا) ، فى الميثولوجيا اليونانية أو الإغريقية القديمة ..

وبوسيلة ما ، لم تسجلها ملفات المعلم ، وصلت تلك النطفة المخصّبة إليه ..

وبقيت ..

ونمت ..

وأصبحت الأسطورة حقيقة ، مع أقل القليل من الأخطاء والتشوهات ..

وتلاحقت أنفاس (أمل) ، وهو يتابع ما رواه المعلم بنفسه ، حول نجاح التجربة الأولى نسبيًا ، وقيامه بتطويرها ، فى مرحلتها الثانية ، مع استخدام جيناته هو الشخصية ، فى محل الجينات البشرية ..

وجاء ذلك الجواد ..

الجواد ، الذى يقف على قيد أمتار قليلة منه ، والذى تدخل فى تكوينه جينات المعلم نفسه ..

لهذا كان التفاهم والتفوق بينهما تمامًا ..

ولهذا يستطيع أن يفهمه ..

ويستوعبه ..

ويتفاعل معه ، على النحو الذى رآه وعهده !!

وأخيرًا .. وبعد أن انتهى من الملف كله ، التقط (أمل) نفسًا عميقًا ، وأغلق عينيه ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! ذلك المهر إذن هو الجيل الثالث .

واستدار يتطلّع إلى المهر القوى ، الذى أهداه إليه معلمه ، مضيفًا :

ـ الجيل الذى يحوى جيناتى أنا .

كانت الفكرة ، على غرابتها ، تبهره ، وتحبس أنفاسه ، وتدفع فى عروقه مزيجًا عجيبًا ، من التوتر والحماس والانفعال ..

فما قرأه الآن ، يتجاوز كل ما آمن به منذ طفولته ، وما لقنه إياه والداه فى حداثته ، وكرراه حتى آخر مرة رآهما فيه ، على قيد الحياة ..

ولكنه العلم ..

العلم الذى لا يعرف أية حواجز ..

ولا أية حدود ..

وفى خطوات مترددة قلقة ، اتجه نحو الجواد والمهر ، فى مقرهما الفسيح ، ووقف ينقل بصره بينهما ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، ويقول فى توتر :

ـ لو أنكما تفهمان حديثى ، أومئا برأسيكما .

وعلى الرغم من أنه كان يتوقع هذا إلى حد ما ، فقد ارتجفت كل ذرة فى كيانه ، مع إيماءة الجواد والمهر ، وتراجع خطوتين

إلى الخلف بحركة حادة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه بمنتهى الانفعال ، ثم راحت نفسه تهدأ تدريجيًا ، حتى ابتسم فى النهاية ، متمتمًا :

ـ ولكن هذا عظيم بحق .. تُرى كيف يمكننى الاستفادة به إلى أقصى حد ، كما كان ينصحنى أستاذى دومًا ؟!

لم تكن الأفكار قد ترتبت حتى فى ذهنه عندما شعر بتلك الهزة العجيبة ، التى شملت المكمن كله ، وكادت تفقده توازنه فى عنف ..

ومع صهيل الجواد والمهر ، استعاد هو توازنه ، وهتف ، وهويعدو نحو شاشات الرصد العديدة :

ـ أهجوم هو أم ...

بتر تساؤله دفعة واحدة ، عندما وقع بصره على تلك المشاهدة ، التى شملت عددًا من شاشات الرصد ..

فعلى نطاق واسع ، لا مثيل له ، كانت قوات المتحورين تشن هجومًا شرسًا وحشيًا ، على جبال الوادى الأزرق .. على البشر ..

وكان هجومًا كاسحًا ، إلى أقصى حد ممكن ..

المقاتلات تقصف الجبال والكهوف ..

والمدرعات تحاصر الوادى ..

وقاذفات اللهب تنطلق داخل الكهوف المنخفضة ..

وآلاف من جنود المتحورين ، ينتشرون فى كل مكان ..

كان هجومًا أشبه بمحاولة للتصفية العرقية الشاملة ، ذكر الفارس (أمل) بما أصاب والديه ، فانتفض جسده ، هاتفًا :

ـ يا للأوغاد .

لم يكن من الممكن أبدًا أن يقف ساكنًا ، وهذا الدمار الشامل يحيق بكل ما حوله ؛ لذا فقد تحرك فى سرعة ، وضغط أزرار تشغيل كل الأجهزة ، وبرامج الأمن والدفاع ، التى يمكن أن تعاونه ، قبل أن يعدو نحو حجرة الملابس ، هاتفًا بالجواد الكبير :

ـ يبدو أن لحظة تعاوننا الفعلية قد حانت يا صديقى ..

صهل الجواد فى قوة ، وانفرد جناحاه فى تحفز حماسى ، ولم تمض دقائق خمس ، حتى كان الفارس الشاب يثب على متنه ، وهو يهتف به :

ـ فلننطلق يا صديقى ..

وهنا ، انطلق الجواد بفارسه الجديد ، دون أن يدرى أحدهما أنهما يندفعان نحو ما يدفعهما إليه زعيم المتحورين .. بالضبط .

★ ★ ★

ـ « هل تعتقد أنه سيسقط فى الفخ ، أيها الزعيم ؟! »

ألقى قائد الأمن السؤال ، فى تردد وتوتر واضحين ، أمام زعيم المتحورين ، الذى تراجع فى عرشه الضخم ، والتقط نفسًا عميقًا ، وأطلت من عينيه نظرة واثقة وحشية ، وهو يقول :

ـ لن يمكنه مقاومة هذا .

لم تكن العبارة مشبعة ، إلا أن قائد الأمن لاذ بالصمت ، ولم يحاول الاستزادة أو الاستفهام ، فى حين تابع الزعيم ، وصوته يحمل جذلاً وحشيًا عجيبًا :

ـ إنه مصاب بوهم نفسى ، يقنعه دومًا بأن الهدف من حياته هو حماية الضعفاء والحمقى ، والزود عنهم بأى ثمن ، وعندما تهاجم البشر ، فى الوادى الأزرق ، بكل هذا العنف ، ستثور الدماء الحارة فى عروقه ، وتتفجَّر كل مشاعره ، وينطلق لمواجهة كل شىء ..

هتف قائد الأمن فى حماس :

ـ وعندئذ ..

استوقفه الزعيم بإشارة صارمة من يده ؛ ليقول هو :

ـ وعندئذ سنفاجئه بما لن يتوقعه .. على الإطلاق ..

قالها ، ثم انفجر يضحك بمنتهى القوة ..

ومنتهى الظفر ..

ومنتهى الشماتة ..

ومنتهى .. منتهى الوحشية ..

★ ★ ★

أى متابع لما حدث هناك ، فى الوادى الأزرق ، سيدرك فورًا ، ودون ذرة واحدة من الشك ، أنه أمام وحوش ، لا يشتركون مع البشر إلا فى بعض المظاهر الخارجية فحسب ..

فبلا أدنى رحمة أو شفقة ، راح جنود المتحورين يقتحمون الكهوف ، التى قبع فيها البشر ، ساكنين مستكينين ، ويطلقون فيها قاذفات اللهب ، التى حوَّلتها إلى قطع من الجحيم ، تنطلق منها صرخات المعذبين ، دون تفرقة بين رجال ، ونساء ، وأطفال ، وشيوخ ..

ومع الموقف المأساوى الرهيب ، انطلقت ضحكات الوحوش عالية ، مجلجلة ، جذلة ، وكأن ما يحدث يملأ قلوبهم بهجة وظفرًا ، ويطلق فى عروقهم نشوة ما بعدها نشوة ..

وفى زهو أشبه بالجنون ، صرخ قائد فريق الهجوم فى رجاله :

ـ احرقوهم .. اسحقوهم سحقًا .. لا أريد أن يبقى منهم جرذ واحد على قيد الحياة .

ومع صرخته ، استعد جنوده لضربة ثانية ..

وانكمش البشر ..

وانهاروا ..

و .....

وفجأة ، دوت تلك الفرقعة فى سماء المعركة ..

أو بمعنى أدق : فى سماء المذبحة ..

فرقعة قوية ..

عنيفة ..

وساطعة ..

فمع الفرقعة ، انطلق فى المنطقة كلها ضوء مبهر ، أغشى أبصار المتحورين لثوان ، بلغت ما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، قبل أن يبرز من وسط الضوء فارسنا الشاب ..

وينقض ..

وبمنتهى العنف ..

كانت انقضاضته مباغتة ، مبهرة قوية ، حتى إنها ألقت الرعب والفزع ، فى قلوب جنود المتحورين ، فتشتتوا فى المنطقة ، وأصابهم

ارتباك شديد ، وهم يحاولون استعادة قدرتهم على الرؤية ، وأسلحتهم تطلق طلقاتها فى كل مكان حولهم ، دون تحديد أو تمييز ..

ولأنه تدرَّب جيدًا ، على استغلال عامل المفاجأة ، إلى أقصى حد ممكن ، تجاوز (أمل) كل الإصابات ، واندفع على متن الجواد المجنح ، يطلق أشعة مسدسه على الجنود ..

كان يتمنى لو ينسف رءوسهم ، ويمزق أوصالهم ، ويشعل فيهم النيران نفسها ، التى أشعلوها فى الأبرياء المساكين ، لولا أن تردَّد فى ذهنه صوت معلمه ، وهو يقول فى حزم :

ـ من السهل أن يترك الإنسان نفسه للغضب والانفعال ، وأن ينتقم من خصمه بكل الوحشية والثورة ، التى ولدتها أفعال الخصم فى عروقه ، ولكن من الصعب جدًا ، والعظيم جدًا ، أن يصر المرء ، مع كل غضبه ، على أن يلتزم بما ينبغى أن يفعله .. هذا هو الجهاد الحقيقى .. جهاد النفس .

ومع تردد قول المعلم فى ذهنه ، انطلقت أشعته نحو الأيدى ، والأذرع ، والسيقان ، بحيث أسقط جنود المتحورين ، وأبعدهم عن ساحة المعركة ، دون أن يزهق منهم روحًا واحدة ..

كان يتحرك بسرعة مدهشة ، وبراعة منقطعة النظير ، حتى إنه كاد يسيطر تمامًا على الموقف ، فى الدقائق الأولى للقتال ، و ....

ـ « الآن أيها الزعيم .. »

نطقها قائد الأمن ، فى توتر شديد ، وهو يتابع ما يحدث فى الوادى الأزرق ، على شاشة الرصد الجديدة الكبيرة فى قاعة الزعيم ، الذى بدا شديد الاهتمام والتركيز ، وهو يقول :

ـ كلا .. ليس الآن .

هزّ قائد الأمن رأسه فى قوة ، وقال فى عصبية ، من موقع خبرته ، كرجل عسكرى قديم :

ـ ولكن الانتظار يكلفنا الكثير .. إنه مقاتل واحد ، ولكنه كاد يسيطر على الموقف تقريبًا .

زمجر الزعيم ، فى وحشية شديدة ، وهو يكرّر :

ـ ليس الآن .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى شدة ، ولاذ بصمت متوتر عصبى ، فى حين واصل الزعيم مراقبته للموقف ، بمنتهى الترقب والتحفز ..

كان الفارس الشاب ينخفض بالجواد المجنح ، إلى مستوى رءوس جنود المتحورين ، متفاديًا طلقاتهم المرتفعة ، ثم يطلق فى سماء المعركة قذيفتين جديدتين ..

وفى هذه المرة ، كان الانفجار أكثر سطوعًا ..

الضوء غمر الوادى الأزرق كله ، كما لو أن الشمس قد أشرقت من جديد ..

ثم انطلق الفرسان ..

عشرات الصور الهولوجرامية المجسمة ، للفارس وجواده ، انطلقت فى كل مكان من الوادى ، تهاجم المتحورين فى كل الاتجاهات ، حتى بات من العسير جدًا ، مع دقتها ووضوحها ، أن يحدد المرء أيها مجرد صورة ، وأيها هو الفارس الشاب الحقيقى ..

وبكل توتر الدنيا ، هتف قائد الأمن :

ـ أيها الزعيم .. لقد سيطر على الأمر بالفعل .

كان الزعيم النووى منفعلاً بدوره ، إلا أنه بدا قويًا متماسكًا ، وهو يميل ليضغط زرًا فى ركن الشاشة ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

مع ضغطة الزر ، تحوّلت الشاشة كلها إلى لون أحمر هادئ ، وبدا عليها جنود جيشه الوحشى ، فى لون أزرق داكن ، فى حين بدا فارس واحد ، من المئات الذين يحلقون فى سماء المعركة ، بلون أحمر واضح ..

أما كل الصور الهولوجرامية المجسمة الأخرى ، فقد اختفت عن الشاشة تمامًا ..

وفى انبهار تام ، غمغم قائد الأمن :

ـ آه .. إنه رصد حرارى .. أليس كذلك ؟!

تجاهل الزعيم سؤاله تمامًا ، وهو يشير إلى الصورة الحمراء على الشاشة ، قائلا فى انفعال وحشى :

ـ ها هو ذا .

ثم ضغط عدة أزرار أخرى مضيفًا :

ـ والآن ، حان دورنا ؛ لنباغته نحن هذه المرة .

مع ضغطاته الجديدة ، انتقلت تلك الصورة الحرارية ، إلى خوذات جنوده ، فى الوادى الأزرق ، مع صوته الغليظ الشرس ، وهو يقول :

ـ تذكروا ما أخبرتكم به منذ البداية .. أريد الجواد سليمًا ، بأى ثمن .. هل تفهمون ؟! بأى ثمن .

سرى التوتر فى جسد قائد الأمن ، وهو يقول :

ـ أيها الزعيم .. هذا الأمر بالتحديد ، هو الذى ....

قاطعه الزعيم بزمجرة وحشية :

ـ اصمت .

ثم ضغط زر الاتصال برجاله مرة أخرى ، هاتفًا :

ـ الآن .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى شدة ، عندما شاهد جنوده ، على شاشة الرصد ، وهم يتفرقون بسرعة ، وكأنهم يفرون من ساحة المعركة ، فهتف فى هلع :

ـ ما الذى يفعله هؤلاء التعساء ؟!

صرخ الزعيم ، وهو يطلق زمجرة وحشية أخرى :

ـ قلت اصمت .

أطاع قائد الأمن الأمر ، وابتلع لسانه فى صمت ، وترك وجهه يحتقن فى شدة ، وهو يشعر بخزى غاضب فى أعماقه ؛ لفرار رجاله من الساحة على هذا النحو ، و ...

وفجأة ! ظهرت تلك الحوامات ، على ارتفاع كبير ..

عشر حوامات ، صنعت بأجسامها المعدنية الضخمة دائرة هائلة وهمية ، تحيط بالوادى كله ..

وانحبست أنفاس قائد الأمن ، وهو يتساءل عن هذا التكنيك الجديد ، الذى تتبعه الحوامات ..

وقبل أن تستقر أفكاره ، انطلقت تلك الخيوط المعدنية من الحوامات العشرة ..

انطلقت بتكنيك جديد مدهش ، لتصنع مع تداخلها شبكة معدنية هائلة قوية ، التصقت ببعضها بقوة رهيبة ..

ثم هوت ..

ومن موقعه ، رأى فارسنا الشاب تلك الشبكة الهائلة تهوى فوقه ، وأدرك ما ستفعله ، فصاح مستحثًا جواده المجنح :

ـ انطلق يا صديقى .. انطلق .

وفرد الجواد جناحيه عن آخرهما ، بكل قوته ، ولكن الشبكة المعدنية القوية كانت هائلة ..

هائلة أكثر مما ينبغى ..

لذا ، فقد هوت فوق الفارس والجواد ..

وجذبتهما معًا إلى أرض الوادى ..

وكان هذا يعنى أن الفارس وجواده المجنح قد سقطا فى الفخ ..

فخ المتحورين ..

الرهيب .

★ ★ ★

٢ ـ قبضة العدو ..

بكل لهفة وحماس الدنيا ، قفز زعيم المتحورين من عرشه الضخم ، ولوّح بقبضته فى الهواء ، صارخًا :

ـ لقد سقط أخيرًا .

كانت الشاشة تنقل مشهد الفارس الشاب ، وجواده المجنّح ، وهما يسقطان على أرض الوادى الأزرق ، تحيط بهما تلك الشبكة المعدنية الهائلة ، على نحو يستحيل الإفلات منه ، بأى حال من الأحوال ..

وفى انبهار تام ، راح قائد الأمن يلهث انفعالاً ، وهو يهتف :

ـ أخيرًا أيها الزعيم .. أخيرًا .

ضغط الزعيم زر الاتصال برجاله ، فى حماس وحشى ، وهو يهتف :

ـ لا تقتربوا منه ، ولا تحاولوا الإمساك به ، مهما بدا هذا ممكنًا أو مغريًا .. أحيطوا به فحسب ، وأطلقوا عليه أسطوانات الغاز ، التى زودتكم بها .. ومن مسافة آمنة ..

ارتفع حاجبا قائد الأمن ، وهو يتمتم :

ـ أسطوانات غاز ؟! إنك لم ..

استدار إليه الزعيم ، بنظرة غاضبة وحشية ، فتوقفت الكلمات

فى حلقه ، وتراجع فى شىء من الذعر ، فعاد الزعيم ببصره وأفكاره إلى زر الاتصال ، وهو يهتف :

ـ أكرر .. لا تحاولوا الاحتكاك به مباشرة .. أبدًا .. هذا أمر ..

لم يلتقط الفارس الشاب هذه الأوامر ، التى تم بثها على موجة جديدة تمامًا ، ذات تردُّد خاص جدًا ، ولكنه كان يشعر بشىء من الذعر ، لم يشعر بمثله قط ، منذ طارده المتحورون فى صباه ؛ فلأول مرة ، يبدو له إنه قد سقط فى قبضة أعدائه ..

وفى أول مواجهة منفردة له ..

وكمحاولة يائسة ، راح يضرب تلك الشبكة المعدنية بذراعيه ، ويطلق على بعض أجزائها أشعته الليزرية ، فى حين راح جواده يضرب بقوائمه ، ويطلق صهيله الغاضب والمذعور ..

ولدقيقة أو يزيد ، لم يحاول أحد المتحورين الاقتراب منه قط ، بل اكتفوا بمراقبته ومتابعته ، من مسافة آمنة ، وفقًا لأوامر زعيمهم ..

وفى الوقت ذاته ، ومع هول الموقف ، وعلى الرغم من خسائرهم الفادحة ، تسلل بشر الوادى الأزرق إلى مداخل كهوفهم ، يطالعون فى يأس مرير ، سقوط فارسهم ، الذى كان يمثل لهم الأمل الوحيد ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى مواجهة وحوش المدينة الكبيرة ومقاومتهم ..

وبعد تلك الدقيقة ، وبعد أن أيقن المتحورون أنه لا فكاك للفارس ، من الشبكة المعدنية الرهيبة ، استعادوا شجاعتهم ، وحمل بعضهم أسطوانات الغاز ، التى زودهم بها الزعيم سرًا ، وصوبوا فوهاتها نحو الفارس ، من مسافة آمنة ..

ثم أطلقوا الغاز ..

ودفعة واحدة ، فوجئ الفارس الشاب بغاز ثقيل ، نفاذ الرائحة ، يحيط به من كل جانب ..

وفى لحظة واحدة ، استعاد كل ما لقنه أياه معلمه وكأنما يحيا لحظاته الأخيرة ، والغاز ينتشر ..

وينتشر ..

وينتشر ..

ثم سقط الجواد أولاً ..

توقفت مقاومته دفعة واحدة ، وتراخى جسده تمامًا ..

وبعدها بثوان قليلة ، تبعه فارسه ..

وعلى الرغم من توقف حركتهما ، واصل المتحورون ضخ الغاز أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

حتى نفدت الأسطوانات تمامًا ..

وعندئذ .. وعندئذ فقط ، توقفوا مضطرين ، وإن ظلوا بعيدين عن الفارس والجواد ، حتى غمغم الزعيم فى مقره بعصبية :

ـ ماذا ينتظرون ؟!

تمتم قائد أمنه :

ـ إنهم يخشونه .. ما زالوا يخشونه !

التفت إليه الزعيم فى غضب ، والتهبت عيناه على نحو مخيف ، جعل الرجل يستدرك فى خوف :

ـ هذا ما يبدو لى .

وبكل الغضب والثورة ، عاد الزعيم يضغط زر الاتصال ، صارخًا :

ـ ماذا تنتظرون ؟!

صرخته انتزعتهم من ذعرهم وجمودهم ، فاندفعوا يتعاونون لرفع تلك الشبكة الهائلة السميكة ، والزعيم يتابعهم بمنتهى اللهفة ، وهو يتمتم فى انفعال ، لم يعهده فيه قائد أمنه قط :

ـ هيا .. هيا ..

كان يتابع حركتهم بمنتهى الدقة والاهتمام ، حتى أزاحوا الشبكة المعدنية عن جسدى الفارس وجواده تمامًا ، فغمغم قائد أمنه فى حماس :

ـ ها هو ذا فى قبضتنا .. أخيرًا .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى انتفض الفارس الشاب فجأة ، وهو يهتف :

ـ مفاجأة .. أليس كذلك ؟!

ومع انتفاضته ، بدا وكأن المشهد كله قد انتفض ..

بل المشاهد كلها ..

جنود المتحورين ..

وبشر الوادى الأزرق ..

وقائد الأمن ..

وحتى الزعيم نفسه ..

الكل انتفض ، من فرط المفاجأة ، واتسعت عيونهم عن آخرها ، فيما عدا زعيم المتحورين ، الذى انعقد حاجباه فى غضب هادر ، وهو يطلق زمجرة وحشية رهيبة ..

ومع زمجرته ، هب الجواد أيضًا ، واقفًا على قوائمه ، فى نشاط عجيب ..

وقبل حتى أن يكتمل نهوضه ، كان الفارس الشاب يثب على متنه ..

وكانت أجنحته تنفرد بأقصى اتساعها ..

وفى لحظة واحدة ، كان يحلق فى السماء ، أمام العيون الذاهلة والمذعورة ..

وبكل ذهول وغضب الدنيا ، هتف قائد الأمن :

ـ مستحيل ! لقد خدعنا جميعًا .. مستحيل !

كتم زعيمه غضبه فى صعوبة ، وهو يقول فى وحشية :

ـ لست أدرى كيف فعلها ، ولكن هذه ليست نهاية المطاف .

وقسا صوته على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ ما زالت هناك خطة احتياطية .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الفارس الشاب ينطلق على متن جواده المجنح ، فى سماء الوادى الأزرق ، وذهنه يستعيد هذا الموقف الرهيب كله ..

مصفاة الغاز الأنيقة الصغيرة ، المعدّلة إليكترونيًا ، وعبقرية الجواد

المجنح ، وتدريبه المتقن ، كلها ساعدت على تجاوز الأزمة ..

ففور شعوره بالغاز ، أخرج من حزامه مصفاتين غازيتين إلكترونيتين دقيقتين ، تم ابتكارهما وتطويرهما ، خلال الحرب النووية الشاملة ، ودسها فى فتحتى أنفه بسرعة(*) ..

كانت مهمتهما استخلاص الأكسجين وثانى أكسيد الكربون فقط ، من أية غازات يستنشقها ، ولفترة طويلة من الزمن ..

ومن الواضح أنهما قد قاما بعملهما خير قيام ..

أما الجواد ، فقد درّبه معلمه ، مستغلاً الجزء البشرى منه ، على كتمان أنفاسه لفترات طويلة جدًا ، عند شعوره بوجود غاز غريب من حوله ، كما أن جيناته المطوّرة تساعده على تحديد أية غازات غير طبيعية فى الهواء ، حتى ولو بلغت نسبتها واحد إلى كل عشرة آلاف ..

العبقرية جاءت فى افتعال حالة الغيبوبة ، التى أقنعت جنود المتحورين برفع تلك الشبكة الثقيلة عنها ، والتى كان من المستحيل أن ينجحا فى رفعها وحدهما ، من موقعهما فيها ..

ولقد استوعب عندئذ الموقف كله ..

فالأمر هو خدعة كبيرة منذ البداية ..

(*) الاختراع حقيقى وموجود بالفعل ، منذ أواخر القرن العشرين ولكن لم يتم تطويره إلى هذا الحد بعد .

خدعة وحشية ، تعتمد على افتعال إبادة بشر الوادى الأزرق ، بكل هذا العنف وكل هذه القسوة ؛ لجذبه إلى ساحة القتال ، وإيقاعه فى هذا الفخ الرهيب ..

السؤال الآن هو ما الذى سيفعله هؤلاء المتوحشون ، بعد أن فشلت خطتهم ؟!

هل سيواصلون عملية الإبادة الوحشية ، أم يكتفون بمطاردته ، باعتباره الهدف الرئيسى والأساسى للعملية كلها ؟!

وثب السؤال إلى ذهنه ، وهو يرتفع بجواده المجنح ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

ولكن الحوامات العشر بقيت ثابتة فى مكانها ، تصنع تلك الدائرة الوهمية الواسعة ، التى تحيط بالوادى كله ..

وبكل التحفز ، استعد الفارس الشاب لمواجهة أية شبكة أخرى ، قد تطلقها الحوامات ، على غرار الشبكة الأولى ..

وفى ذهنه ، رسم المسار الجديد لانطلاقته ؛ حتى يمكنه أن يتجاوز سقوط أية شبكة أخرى ، و ....

ولكن الحوامات العشر أطلقت مفاجأتها الأخيرة بغتة ..

وكانت مفاجأة قوية بحق ..

ومختلفة تمامًا ..

ففى لحظة واحدة ، وبتوجيه إليكترونى رقمى دقيق ، أطلقت كلها شحنة كهربية محدودة ، نحو الفارس والجواد ..

وبسرعة انتقال الشحنة الكهربية فى الهواء ، شعر الفارس وجواده المجنح بالصدمة ..

صدمة مباغتة وبالغة العنف ، ارتج لها جسداهما فى قوة ، وتجمدت بها أطرافهما ، على نحو استحال معه أن يخفق الجناحان الكبيران ..

لذا فقد هويا ..

هوى الفارس الشاب ، والجواد المجنح ، كحجرين صلبين ، من ارتفاع كبير ، نحو وسادة هائلة ، فردها جنود المتحورين ، فى قلب الوادى الأزرق ، تنفيذًا للخطة الاحتياطية ، التى أمر بها الزعيم الوحشى ..

هويا فى قبضة عدو لا يرحم ..

أبدًا .

★ ★ ★

هبط الضباب فى الوادى الأزرق كله ، وبدا أكثف كثيرًا من المعتاد ، وهو ينتشر ..

وينتشر ..

وينتشر ..

وفى توتر شديد ، تلفّت الفارس الشاب حوله ، وقد انعدمت الرؤية تمامًا ..

فلأول مرة يضل طريقه ..

لم يعد يعرف إلى أين يذهب ..

كل شىء بدا مختلفًا ..

متغيرًا ..

عجيبًا ..

حتى الشمس ، اختفت خلف ذلك الضباب الكثيف ..

الوادى فقد معالمه ..

المكمن لم يعد فى مكانه ..

كل شىء اختلف ..

اختلف كثيرًا ..

وعلى متن جواده النبيل ، تحرّك الشاب بحثًا عن أى مكان يمكنه أن يحتمى فيه ، عندما يبدأ الهجوم ..

ومن بعيد ، تصاعدت أصوات آلات القتال الضخمة ، التى خرجت من المدينة الكبيرة ، متجهة نحو الوادى مباشرة ..

المتحورون بدءوا القتال ..

وانطلقوا ..

وستبدأ المعركة حتمًا ..

وهو لم يستعد ..

لم يستعد بعد ..

وبسرعة تتجاوز حدود المنطق والعقل ، راحت الأصوات المخيفة تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وتضاعف توتر الشاب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وكان عليه أن يواجه الموقف الرهيب ..

إنه يقف وحده ، فى الوادى الأزرق كله ..

الضباب يحيط به من كل جانب ..

والمتحورون قادمون ..

بكل قوتهم ..

وشراستهم ..

ووحشيتهم ..

ولأن القتال أصبح محتومًا ، امتدت يده ، لتلتقط بندقيته الإشعاعية ، من ذلك الغمد الدائم ، فى سرج جواده ولكن الغمد كان خاليًا ..

ويا لها من مفاجأة !

إنه أعزل أيضًا ..

أعزل فى مواجهة آليات قتالية رهيبة ..

أعزل تمامًا ..

وبكل توتره وقلقه وخوفه ، لكز جواده القوى ، ليستحثه على فرد جناحيه ، والانطلاق بعيدًا عن الوادى كله ..

ولكن الجواد لم يستجب ..

جناحاه لم يبرزا ..

بل ولم يكن لموضعهما أثر ..

واتسعت عينا الشاب فى ارتياع ..

فالآليات صارت قيد خطوات ..

ولا سبيل للقتال ..

أو حتى الفرار ..

أو ...

« استيقظ .. »

انتزعته الكلمة ، التى نطقها أحدهم ، بصوت خشن جاف ، فى ذلك الكابوس الرهيب ، الذى سيطر على كيانه كله ، ففتح عينيه فى بطء ، وشعر بصداع رهيب يكتنف رأسه ، وبضباب كثيف ينقشع عن مخه ، قبل أن ينتبه فجأة إلى إنه يفيق من غيبوبة عميقة ..

غيبوبة لم يسقط فى مثلها من قبل قط ..

وبسرعة ، أدرك موقفه ..

كان حبيسًا فى زنزانة رطبة صغيرة ، تشبه زنازين القرون الوسطى ، كما وصفها له أستاذه الفارس العظيم ..

وكان ذراعاه مقيدين إلى جدارها ، بأغلال معدنية سميكة ..

وأمامه مباشرة ، كان يقف أحد المتحورين ، يرمقه بنظرة عجيبة ، تجمع بين الظفر والوحشية والغضب ..

نظرة جعلته يدرك مصيره المحتوم ، وخاصة عندما قال ذلك المتحوّر ، فى صوت غليظ ولهجة قاسية :

ـ أخيرًا وقعت فى قبضتنا .

استعاد ذهنه فى تلك اللحظة ، تعاليم أستاذه ..

« لا تضعف أبدًا أمام عدوك .. »

« الشجاعة تمنحك قوة ، فى لحظات الضعف ، والخوف يهزمك بضعف ، فى لحظات القوة .. »

« ما دام الموت آت لا ريب ، فلتمت مرفوع الرأس .. »

استعاد كل العبارات فى ثانية واحدة ، فرفع رأسه فى اعتداد ، فى مواجهة ذلك المتحوّر ، وقال فى صلابة :

ـ مؤقتًا .

احتقن وجه ذلك المتحوّر ، وانطلقت من حلقه صرخة غضب ، بدت أشبه بمزيج غريب ، من خوار الثور وفحيح الأفعى ، قبل أن يقول فى شراسة :

ـ يا لك من متحذلق .. إنها ليست لعبة أيها الدمية .. لقد دخلت وكر الأفاعى ، ولا أحد يخرج منه حيًا أبدًا .

أجابه الشاب فى سرعة ، ودون أن يفقد ثباته :

ـ ولكنكم تبقون على حياتى فيه .. أليس كذلك ؟!

فى هذه المرة ، انطلق من حلق المتحوّر فحيح شرس ، برز معه لسانه الطويل ، المشقوق من طرفه ، والشبيه بألسنة الثعابين ، ووثب نحو وجه الشاب ، الذى مال برأسه كله جانبًا ، متفاديًا إياه ، قبل أن يرتدّ إلى حلق المتحوّر ، الذى قال :

ـ لولا أن الزعيم أمرنا بالإبقاء عليك ، لمزقت أوصالك ، والتهمت كبدك على الإفطار .

الزعيم أمر بهذا !!

الزعيم يريده على قيد الحياة !

هذا ما استوعبه من العبارة كلها ..

أو ما يهمه استيعابه ..

والسؤال هو لماذا ؟!

لماذا يريده الزعيم على قيد الحياة ، بعدما وقع فى قبضته ؟!

لمـاذا ؟!

لمـاذا ؟!

تطلَّع إلى عينى ذلك المتحوّر مباشرة ، ولاحظ أنها تختلف إلى حد ما عن عيون البشر العاديين ، وأنها تبدو أشبه بعيون الثعابين ، إذا ما نظرت إليها عن قرب ، مما يتفق مع اللسان المشقوق ، والبشرة الشاحبة المبرقشة ..

التحورات الجينية ، التى صنعتها به الإشعاعات النووية ، والتلوثات البيولوجية ، جعلت جيناته إذن أقرب إلى الثعابين ، منها إلى بنى البشر ..

أستاذه كان على حق إذن ..

هؤلاء القوم اشبه بالحيوانات والوحوش ..

ليس فى تصرفاتهم وحدها ، ولكن فى تركيباتهم وتكويناتها أيضًا ..

« فيم تفكر ؟! »

قاطعه المتحوّر فى شراسة وحشية ، قبل أن يتابع :

ـ تفكيرك هذا لا طائل من ورائه ، فلا توجد وسيلة واحدة للفرار من هنا .. ستبقى حتى يقتلك الجوع والعطش ، وحتى ترى بعينيك ، ما سنفعله بجوادك العجيب .

لم يكد يأتى على ذكر الجواد ، حتى تحفزَّت كل خلية فى جسد الشاب ، وانتبهت كل حواسه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لو مسستم شعرة واحدة من الجواد ، فسوف ....

قاطعه المتحوّر بضحكة ساخرة وحشية ، قبل أن يقول :

ـ لو ماذا ؟! تتحدث كما لو أننا نحن المقيدون إلى الجدار يا هذا ؟! إننا نسيطر على الموقف تمامًا ، وسنفعل كل ما يحلو للزعيم بجوادك .. سنمزقه إربًا ، إذا ما اقتضى الأمر ، ولن يمكنك أن توقفنا لحظة واحدة ..

انعقد حاجبا الشاب فى غضب هادر ، دون أن يتفوّه بحرف واحد ، فابتسم المتحوّر فى سخرية شامتة ، وكأنما راق له هذا ، ومال نحوه ، مضيفًا :

ـ الزعيم يريد أن يعرف كل شىء عنه ، حتى لو اقتضى الأمر تشريحه ، لفحص كل جزء منه .

قال الشاب ، وهو يدفع أكبر قدر من السخرية إلى كلماته :

ـ خلية واحدة منه ، يمكنها أن تمنحكم كل ما تريدون من معلومات .. هذا لو أنكم متفوقون بحق .

بدا الغضب على وجه المتحوّر ، وهو يقول :

ـ ألا تعترف بتفوقنا ، بعد كل ما فعلناه بك ؟!

مطَّ الشاب شفتيه ، وقال فى لا مبالاة :

ـ إننى ما زلت على قيد الحياة ، والمعركة لم تنته بعد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اشتعلت عينا المتحوّر الثعبانيتان بلهيب الغضب ، وقال :

ـ وإلى متى ستظل على قيد الحياة أيها المتحذلق ؟!

أجابه الشاب فى صلابة :

ـ لا أحد يمكنه أن يجيب هذا السؤال .

صرخ المتحوّر :

ـ خطـأ .

ثم انتزع من حزامه صاعقًا كهربيًا ، وهو يضيف :

ـ أنا أستطيع إجابة السؤال .

انعقد حاجبا الشاب ، وضغط أسنانه فـى قوة ، والمتحوّر يتجه نحوه بصاعقه الكهربى ، متابعًا بكل وحشية الدنيا :

ـ فستنتهى إجابة السؤال .

قالها ، ودفع صاعقه الكهربى نحو عنق الفارس الشاب ..

وانطلقت صرخة فى الزنزانة الرطبة الصغيرة ..

صرخة رهيبة ..

جـدًا .

★ ★ ★

تألّقت عينا زعيم المتحورين ، فى ظفر وحشى مخيف ، وهو يتطلع إلى ذلك الجواد الأصيل ، الذى احتوى جناحيه فى شقين خفيين فى جانبيه ، ووقف يضرب الأرض بحافريه فى توتر شديد ..

كان يبدو غاضبًا ، من وقوعه فى الأسر ، كما لو أنه يدرك تمامًا ما يحدث من حوله ، ويرفض وجوده فى ذلك المكان ..

وبكل ظفره ، قال الزعيم :

ـ أخيرًا .

حاول قائد أمنه أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ هذا ما كنت تحلم به أيها الزعيم .

أشار الزعيم بيده ، وهو يقول فى شراسة ، لم يكن لها ما يبرّرها :

ـ هذا جزء مما كنت أحلم به .

وتألّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يضيف :

ـ فلابد وأن يخضع لى هذا الجواد أولاً .

بدأ القلق يتسلّل إلى قلب قائد الأمن ، وهو يقول فى حذر :

ـ هذا أمر يحسمه الخبراء أيها الزعيم .

هزّ الزعيم رأسه ـ نفيًا ـ فى بطء ، وهو يقول :

ـ كلا .. هذا أمر أحسمه أنا .

سقط قلب قائد الأمن بين قدميه ، وتصور أن اللحظة التالية ستحمل غضب الزعيم وثورته ، إلا أنه فوجئ به يعقد كفيه خلف ظهره ، ويقول فى اهتمام ، وهو يبتعد عن قفص الجواد :

ـ لقد طلبت إعداد قاعة خاصة ، منذ بعض الوقت ، ومن قبل حتى أن توقع بالفارس وجواده .. قاعة يمكننى بواسطتها إخضاع ذلك الحيوان المدهش .

تساءل قائد الأمن ، فى لهفة حقيقية :

ـ وكيف هذا ؟

ابتسم الزعيم فى غموض ، وهو يقول :

ـ سترى بنفسك .

وتألّقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ ويمكنك اعتباره درسًا عمليًا ، فى كيفية السيطرة والتوجيه .

سرى الخوف والقلق مرة أخرى ، فى جسد قائد الأمن ، ولكنه حاول أن يخفى هذا فى أعمق أعماقه ، وهو يغمغم :

ـ بالطبع أيها الزعيم .. بالطبع .

أدار الزعيم عينيه الوحشيتين إليه ، وكأنما استشف من لهجته

ما يدور فى أعماقه ، وابتسم ابتسامة مخيفة ، انتفض لها جسد قائد الأمن ، قبل أن يقول بلهجة آمرة :

ـ سأنتظر الجواد فى القاعة الخاصة .. وعندئذ سترى .

وخفق قلب قائد الأمن ، وهو يغمغم مكررًا :

ـ بالطبع أيها الزعيم .

وفى أعمق أعماقه ، دار تساؤل ، لم يجرؤ على الإفصاح عنه قط ..

تُرى هل يمكن بالفعل إخضاع ذلك الجواد المدهش ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

لم تكن هناك وسيلة منطقية واحدة ، لمنع ذلك المتحوّر الوحشى ، من القضاء على الفارس الشاب ، فى تلك الزنزانة الرطبة الصغيرة ، فى قاعة مقر الزعامة ، فى قلب المدينة الكبيرة ..

فالشاب كان مقيدًا إلى الجدار ، بأغلال معدنية قوية ، والمتحوّر كان حرًا ، غاضبًا ، ثائرًا ، يحمل فى يده صاعقًا كهربيًا قاتلاً ، ينقض به على عنقه ..

كل ما كان يحتاجه الأمر هو لحظة واحدة ، يضرب بها الصاعق عنق الشاب ، ويطلق فى رأسه وجسده تيارًا كهربيًا عنيفًا ، و ...

وينتهى كل شىء ..

ولكن فجأة ، وبينما ينقض المتحوّر الوحشى بصاعقه ، انفرجت شفتا الشاب ، وبرز من بينهما سلاح ليزرى دقيق ، كان يخفيه فى ذلك الفراغ ، بين اللثة والأسنان ..

وبضغطة من أسنانه ، أطلق السلاح طلقة ليزرية ..

طلقة أصابت ذلك المتحوّر ، بين عينيه تمامًا ..

وبكل ألم وذعر الدنيا ، صرخ المتحوّر ، وهو يتراجع فى عنف ، والصاعق الكهربى يسقط من يده ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، أدار الشاب رأسه جانبًا ، ورفع وجهه ، ليصوّب سلاحه الليزرى الدقيق إلى الأغلال ، التى تربط معصمه الأيسر إلى الجدار ..

ومرة أخرى ، ضغطه بأسنانه ..

وبينما يترنح المتحوّر ، محاولاً استعادة توازنه ، كان الفارس الشاب يتحرّر من أغلاله ، ويستعد لمواجهته ..

وبكل غضب وألم الدنيا ، انحنى المتحوّر ، محاولاً استعادة صاعقة الكهربى ، وهو يصرخ :

ـ لن تفلت بهذا أبدًا ، أيها الـ ....

قبل أن يتم عبارته ، وثب الفارس الشاب فى رشاقة ، وركله فى فكه ، ثم فى أنفه ..

وارتدّ المتحوّر فى عنف ، مرتطمًا بالجدار ، وسالت دماء أرجوانية اللون من أنفه ، إلا أنه وثب مستعيدًا توازنه فى سرعة ، وهو يزمجر ، قائلاً فى غضب :

ـ تريد القتال إذن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى اكتست عيناه بلون الدم ، واستطالت حدقتاهما ، وبدتا كعيون الثعابين بالفعل ، وبرزت فى وجهه حراشيف مخيفة ، تجمع بين اللونين ، الأسود والبنى ، ثم فتح فكه ، فبرزت داخله أنياب رهيبة ، وهو يطلق فحيحًا مخيفًا ، ولسانه المشقوق يتراقص ويمتد بينهما ..

وتحفّزت حواس الفارس الشاب ، وهو يتراجع فى حذر ، متطلعًا إلى خصمه الرهيب ، داخل الزنزانة المغلقة ..

كان يستعيد كل ما تعلّمه ..

وكل ما لقنه إياه أستاذه ..

والعجيب أنه ، فى اللحظة نفسها ، كان جنود الزعيم ينقلون الجواد ، إلى تلك القاعة الخاصة ، إلا أنه تحفّز فجأة فى توتر ، ثم أطلق صهيلاً عصبيًا طويلاً ، كما لو أنه شعر بما يدور تحته مباشرة ..

ففى الثانية ذاتها ، وثب المتحوّر الثعبانى نحو الفارس ، بكل غضبه وقوته ..

كانت وثبة قوية مركزة ، بأنياب حادة طويلة ، وحشية ..

ولكن الشاب تحرّك بسرعة مدهشة ..

تحرّك ، وهو يخرج ذلك السلاح الليزرى الدقيق من بين أسنانه ، ويصوّبه إلى خصمه ..

ثم يطلقه ..

وأصابت الأشعة الدقيقة المركّزة عنق المتحوّر ..

واخترقته ..

ولكنها لم تقتله ..

وبكل غضب ووحشية الدنيا ، استدار إليه المتحوّر ..

وفى هذه المرة ، بدا فحيحه أشبه بفحيح ألف أفعى ..

بل ألف ألف أفعى ..

وأطلق الشاب أشعة سلاحه الدقيق مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم ارتطم به ذلك المتحوّر ..

وأسقطه ..

وسقط فوقه ..

وبرزت أنيابه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبدا فحيحه ، من هذه المسافة القصيرة أعنف ..

وأخطر ..

وأشرس ..

ولكن عبارة أخرى وثبت إلى رأس الشاب ، من تعاليم أستاذه ..

« القتل أمر بغيض ، إلا للدفاع الحتمى عن النفس .. »

لذا ، ودون إضاعة جزء من الثانية ، ضغط الشاب سلاحه الدقيق مرة رابعة ..

وأخيرة ..

كان خصمه الوحشى يفتح فكيه عن آخرهما ، ويهم بغرز أنيابه السامة فى عنقه ، عندما انطلقت أشعته ، لتخترق حلقه مباشرة ..

وعلى الرغم من دقة خيط الأشعة ، انتفض جسد المتحور وارتد بعنف شديد ، ليسقط فى نهاية الزنزانة الضيقة .

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وفيض من الدماء الأرجوانية يسيل من بين شفتيه ، فى غزارة مخيفة ..

ولثوان ، ظلّ الشاب ساكنًا ، يتطلّع إلى جثة المتحوّر ، وشعور عجيب يسرى فى أعماقه ، ويجثم على صدره بقوة ..

لقد كان أستاذه على حق تمامًا ..

لقد قتل دفاعًا عن نفسه وحياته ..

ولكن الأمر كله بغيض ..

بغيض إلى أقصى حد ..

فمهما سمع وتعلم ، لا يمكنه أن يدرك هذا الشعور ، الذى يملأ كيانه ، فى هذه اللحظة ..

فانتزاع الروح ، من جسد كائن آخر ، أمر رهيب ..

رهيب إلى أقصى حد ..

ولكن المعركة لم تنته بعد ..

بل بدأت ..

وفى حسم ، نهض الفارس الشاب ، محاولاً نسيان ما حدث ، وهو يلتفت إلى باب زنزانته الضيقة ..

كان يتوقّع أن يجده مفتوحًا ، ما داموا قيدوه إلى الجدار بإحكام ، إلا أنه فوجئ به مغلقًا ، برتاج إليكترونى قوى ، لا يتناسب قط مع شكل الزنزانة ورطوبتها ..

وبكل ما درسه وتعلّمه ، وتدرب عليه طويلاً ، فحص الشاب رتاج الزنزانة ، وحدّد نقطة ضعفه ، ثم صوّب إليها سلاحه الليزرى الدقيق ، وهو يتساءل فى قلق ..

تُرى هل تبقت فيه طاقة كافية ، لنسف نقطة الضعف ، وفتح باب الزنزانة السميك ..

لم تكن هناك سوى وسيلة واحدة لمعرفة هذا ، مع صغر السلاح ودقته ؛ لذا فقد ضغطه بكل قوته ..

وانطلق خيط الأشعة الليزرية الدقيق ..

وأصاب الرتاج ..

ثم خبا فجأة ..

وانعقد حاجبا الفارس الشاب بشدة ..

لقد نفدت طاقة السلاح ، ولم تعد هناك وسيلة للخروج من الزنزانة الرطبة الضيقة ..

أية وسيلة ..

★ ★ ★

٣ ـ الأســـــير ..

على عكس ما توقَّعه زعيم المتحورين ، وقف الجواد الأبيض الأصيل صامتًا ساكنًا ، فوق تلك الحافة الصغيرة ، داخل القاعة الخاصة ، متطلعًا إلى السماء والجبال أمامه ، دون أن يتحرك من مكانه خطوة واحدة ..

وفى توتر ملحوظ ، غمغم الزعيم ، وهو يراقب المشهد ، من حجرة جانبية ، على شاشات رصد متعددة :

ـ لماذا يقف ساكنًا هكذا ؟! السماء أمامه كبيرة فسيحة ، فلماذا لا يحلق هاربًا ؟!

أراد قائد أمنه أن يجيب تساؤله ، إلا أنه لم يجد جوابًا واضحًا ، فتمتم فى خفوت ، وكأنما يخشى الإفصاح عن رأيه :

ـ الجواد ذكى .

زمجر الزعيم زمجرة شرسة ، ارتجف لها جسد قائد الأمن ، قبل أن يقول فى غلظة عصبية :

ـ مهما بلغ ذكاؤه ، ينبغى أن نتفوَّق عليه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حدة :

ـ إنه مجرد جواد .

فى هذه المرة ، آثر قائد أمنه الصمت ، وانكمش فى موقعه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين ضغط الزعيم زر الاتصال بحجرة التحكم ، وهو يقول بلهجة آمرة ، صارمة ، وحشية :

ـ فلننتقل إلى الخطة (ب) .

لم يكد يلقى أوامره ، حتى اشتعلت النيران فجأة ، خلف الجواد مباشرة ..

وهنا فقط ، أطلق الجواد صهيلاً قويًا ، بدا غاضبًا ، أكثر منه مذعورًا ، وتراجع نحو الحافة ..

ولكن النيران تقدَّمت نحوه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولم تعد الحافة تكفى لتراجعه ..

وبكل انفعاله ، ضم الزعيم قبضته ، وهو يقول :

ـ هيا .. افرد جناحيك وانطلق .. هيا .

خُيِّل إليه أن الجواد قد سمع عبارته ، عندما رآه يرفع عينيه إلى الشاشة ، ثم يطلق صهيلاً عصبيًا ..

وبانفعال أكثر ، صرخ الزعيم :

ـ هيــا ..

قبل حتى أن تكتمل صرخته ، فرد الجواد جناحيه الكبيرين ..

وانطلق ..

لحظتها ، خُيِّل لقائد الأمن أن الزعيم قد لهث ، من فرط الانفعال ، وأن عينيه قد أضاءتا بشدة ، وهو يتابع المشهد المهيب على شاشته ..

أما الجواد نفسه ، فقد بدا أشبه بأسطورة حية ، وهو يضرب الهواء بجناحيه القويين ، مبتعدًا عن الحافة ، ومنطلقًا نحو ما بدا أشبه بالسماء والجبال ..

وتألّقت عينا زعيم المتحورين ..

وتألّقت ..

وتألّقت ..

ولكن فجأة ، دار الجواد القوى حول نفسه ، وضرب الهواء مرة أخرى بجناحيه ، كما لو أنه يتفادى الاصطدام بشيء ما ..

وبكل دهشته ، هتف قائد الأمن :

ـ لقد أدرك الخدعة .

انعقد حاجبا الزعيم بمنتهى الشدة ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !

فالمساحة التى يحلق فيها الجواد المجنح ، لم تكن سماءً مفتوحة ، كما يوحى مظهرها للعين المجرّدة ، وإنما كانت قاعة هائلة واسعة ، لها قبة رقمية كبيرة ، تعكس صورة هولوجرامية شديدة الإتقان ، للسماء والنجوم ، على نحو يجعلها أشبه بالواقع الحى ..

وبكل المقاييس ، كانت تلك القاعة الرقمية قادرة ، على خداع عينى أشد الرجال إبصارًا ..

ولكن العجيب أنها لم تخدع ذلك الجواد ..

لم تخدعه أبدًا ..

ولأن هذا يتجاوز أى منطق علمى سليم ، فقد كرَّر الزعيم ، وهو ينهض من عرشه الضخم الفخم :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكون قد أدرك هذا .

غمغم قائد أمنه ، فى توتر بالغ :

ـ ولكنه فعلها .

استدار إليه الزعيم صارخًا :

ـ مستحيل !

ثم ضغط زر الاتصالات ، بكل غضبه وثورته ، قائلاً :

ـ أوقفوه .

مع أوامره ، انطلق سهم مخدر قوى ، من فجوة خفية ، فى أرضية القاعة ، التى لم تحو حافة حقيقية ، نحو الجواد مباشرة ..

وبمناورة مذهلة ، تفادى الجواد ذلك السهم ، الذى استهدف عنقه ، ومال جانبًا ، وارتفع جناحاه القويان ، و ...

وانغرس السهم المخدر ، فى جناحه الأيسر ..

ألم محدود سرى فى الجناح ..

وخدر شديد سرى ، فى الجسد كله ..

ولأوّل مرة ، منذ مولده ، شعر الجواد القوى أنه ليس باستطاعته الخفقان بجناحيه ..

ولأوّل مرة ، ذاق طعم الخدر ..

والدوار ..

والضعف ..

جناحاه تخاذلا ..

وتباطا ..

وتهاويا ..

ولأن الحافة الوهمية ما زالت مشتعلة ، بدا له أنه لا يوجد مهبط واضح ، سوى تلك الفجوة الرهيبة ، التى تطل عليها الحافة ..

ولأنه ليس أمامه بديل آخر ، هبط الجواد نحو تلك الفجوة المخادعة ..

وهبط ..

وهبط ..

وقبل أن يكمل هبوطه ، كما بدا لعينيه ، ارتطم فجأة بأرضية القاعة الرقمية ..

ثم هوى ..

هوى فاقد الوعى والشعور ، وتراجع جناحاه الكبيران ، نحو الشقين الخفيين فى جانبيه ..

ولكنهما لم يختفيا حتى آخرهما ..

فقد غاب وعيه ..

تمامًا ..

ولثوان ، ران صمت رهيب ، حيث يجلس زعيم المتحورين ، الذى قطع ذلك الصمت ، قائلاً :

ـ لن يمكننا ترويضه بهذه الوسيلة .

لاذ قائد أمنه بالصمت التام ، خشية أن يستفزه فى هذا الموقف ، واكتفى بالتطلُّع إليه ، عندما تراجع فى بطء ، وعقد حاجبيه فى شدة ، قبل أن يكمل ، فى صرامة وحشية :

ـ سنلجأ إذن إلى المحاولة الأخيرة .. المحاولة التى إما أن تنجح فى ترويضه وإخضاعه ، أو يكون فيها مصرعه .. نهائيًا ..

وأيضًا لم ينطق قائد أمنه بكلمة ..

أية كلمة ..

★ ★ ★

لقد جردوه من كل أسلحته ..

هذا ما جال بخاطر الفارس الشاب ، وهو يقف داخل تلك الزنزانة الضيقة ، بعد أن عجز سلاحه عن إخضاع رتاجها الإلكترونى ، وإخراجه منها ..

كان يدرك أن سلاحه الليزرى الاحتياطى ، قد أدى كل ما يمكنه ، ولكن هذا يعنى أنه لم تعد لديه وسيلة متطوّرة واحدة ، للخروج من زنزانته هذه ..

اللهم إلا إذا ..

انتبه بغتة إلى أن خصمه المتحوّر أيضًا ، كان داخل الزنزانة ..

وهذا يعنى أن لديه وسيلة للدخول ..

وللخروج ..

وبسرعة ، راح يفتش ثياب المتحوّر الصريع ؛ بحثًا عن وسيلة سيطرة ، على الرتاج الإلكترونى ..

أية وسيلة ..

ولكن ، باستثناء أسلحته ، لم يكن المتحوّر يحمل شيئًا !!

وهذا بدوره يعنى أنه كان يعتمد على نظام آخر للخروج ..

نظام ، ربما يتناسب تمامًا ، مع طبيعة الزنزانة ورطوبتها ..

نظام بدائى ..

للغاية ..

لذا ، فقد عاد الفارس الشاب إلى الباب ، ودقه بقبضته فى قوة ، ثم كمن ينتظر ..

ولثوان ، لم يشعر بأية استجابة ، ثم لم يلبث أن سمع وقع أقدام ثقيلة تقترب ، فالتصق بالجدار البعيد عن الرؤية ، حتى فتح بعضهم تلك الكوة الصغيرة ، أعلى باب الزنزانة ، وهو يقول ، بصوت أجش غليظ :

- هل أنهيت مهمتك ؟!

استعاد الشاب تلك الدروس والتدريبات المكثفة ، التى تلقاها من أستاذه ، حول لهجة المتحورين ولغتهم ، وأسلوب تقليد الأصوات ، وقال بخشونة شبيهة بخصمه الصريع :

- أجل .

لم يكد يتم قوله ، حتى صدر أزيز خافت ، ثم انفتح باب الزنزانة ، مع ذلك الصوت الغليظ ، وهو يقول :

- اخرج بسرعة إذن ؛ فلم أكمل طعامى بعد ، و ....

كان ذلك المتحوّر الآخر يدلف إلى الزنزانة ، وهو ينطق عبارته ،

إلا أنه لم يلبث أن بترها دفعة واحدة ، وهو يحدّق فى زميله الصريع ، قبل أن يسحب سلاحه الليزرى فى سرعة ، هاتفًا :

ـ اللعنـــة .

ومع هتافه ، انقض عليه الشاب ..

انقضّ بكل قوته ، وفتوته ، و .....

وبقوة تفوق أى تصور ، دفعه ذلك المتحوّر بعيدًا ، ليضرب جسده فى الجدار الرطب بمنتهى العنف ، قبل أن يسقط أرضًا ..

وعندما اعتدل الفارس الشاب فى سرعة ، محاولاً استعادة توازنه ، فوجئ بفوهة سلاح ليزرى ، مصوّبة إلى وجهه مباشرة ، وبصوت غليظ غاضب ، يصرخ فيه :

ـ إنك تستحق القتل ، لفعلتك هذه ..

ثم انطلقت الأشعة القاتلة ..

نحوه مباشرة .

★ ★ ★

فجأة ، انتفض الجواد القوى ، داخل القفص الضيق ، الـذى وضعوه فيه ، ثم هبّ واقفًا ، وأطلق صهيلاً عصبيًا ..

كان يستعيد وعيه ، بعد فترة قصيرة من غيبوبة عميقة ، تسبب

فيها ذلك العقار ، الذى يحويه السهم المخدر ، الذى أصاب جناحه ..

وعلى الرغم من أن الجرعة ، التى يحويها ذلك السهم ، كانت كافية لقتل رجل بالغ قوى ، إلا أنها أفقدته الوعى لعشر دقائق فحسب ، كانت كافية لنقله إلى ذلك القفص ، وتوصيل عنقه وجبهته وأطرافه ، بتلك الأسلاك الإلكترونية الدقيقة ..

وفى عصبية ، نفض الجواد رأسه ، وحاول أن يحرر أطرافه ، إلا أن زعيم المتحورين ، الذى يجلس لمراقبته ، أمام القفص مباشرة ، هزّ رأسه فى بطء ، قائلاً فى صرامة :

ـ لن يمكنك هذا أبدًا .. إنها أسلاك خاصة ، لا يمكن تمزيقها ، إلا بسلاح محدود .

أدار الجواد عينيه إليه فى حدة ، على نحو يوحى باستيعابه الموقف كله ، فتابع فى وحشية متوترة :

ـ لا يوجد مخرج واحد من هنا .. إما أن تخضع لى ، أو لا تخضع لأى شخص آخر .

مع نهاية قوله ، انتفض جسم الجواد فى عنف ، مع الصاعقة التى أصابته ، عبر تلك الأسلاك الدقيقة ، وانطلق منه صهيل ألم قوى ، جعل الزعيم الوحشى يبتسم فى تلذّذ ، قائلاً :

ـ أظنها أوّل مرة يحدث فيها هذا ، فى التاريخ كله .. أن يعذّب أحد جوادًا ، لضمان خضوعه واستجابته .

مرة أخرى ، مع نهاية عبارته ، انتفض جسم الجـواد ، وانطلـق صهيله القوى ، لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن ينهار رأسه ، فى ألـم رهيب ، أطلق معه الزعيم ضحكة مخيفة ، وهو يقول :

ـ الصاعقة ستتضاعف قوتها فى كل مرة ، حتى تبلغ حدًا قاتلاً ، فإما أن تخضع ، أو تموت .

كـان محقًا تمامًا فـى قولـه هذا ، فالصاعقـة التاليـة كـانت مـن العنف ، حتى إن الجـواد لـم يستطع إطـلاق صهيلـه ، وإنمـا سـقط على ركبتيه الأماميتين ، ثم حاول النهوض فى صعوبة ..

وانطلقت ضحكات الزعيم الوحشية أقوى ..

وأقوى ..

وأقوى ..

وفى تلذُذ عجيب قال :

ـ فى المرة القامة ، ستذوب خلايا مخك ، من فرط الألم ، وسينهار كيانك كله .. ولأننى رجل عطوف مشفق ، فسأمنحك مهلـة معقولـة ؛ لإبداء الخضوع والاستسلام ، قبل ، أن أطلق الصاعقة ، فى جسمك ، من أقصاه إلى أقصاه .

وتراجع فى عرشه ، الذى يتنقل معه أينما ذهب ، قبل أن يتابع :

ـ بعد دقائق قليلة ، سيصلنى تقريره ، من مختبرى الخاص ، محددًا

كل صفاتك الجينية ، ومؤكدًا أو نافيًا احتمالات استنساخ جواد مشابه ، ينشأ فى حظائرى ، ويدين لى بالوجود ، والطاعة ، والولاء .

نفخ الجواد الهواء من منخاريه ، وضرب الأرض بحوافره ، وخفـض رأسه قليلاً ، فتألقت عينا الزعيم ، وقد بدا له هذا خضوعًا واضحًا ، وقال فى صرامة ظافرة :

ـ عظيم .

ثم أشار بيده ، فى غطرسة شديدة ، قائلاً :

ـ اركع .

أدار الجواد عينيه إليه فى بـرود ، كمـا لـو أنـه لا يفهـم الأمـر ، فانعقد حاجبا الزعيم فى غضب ، وكرَّر فى حدة :

ـ اركع أو تموت .

ضرب الجواد الأرض بحوافره مرة أخرى ، وأشاح بوجهـه فـى لامبالاة ، كما سيفعل أى جواد عادى ..

ولأنه يدرك طبيعته المتميزة ، هتف الزعيم فى حدة :

ـ لا تتظاهر بعجزك عن استيعابى .. أنـا أعلم أنك تفهم كل حـرف أنطق به .. كل ما فى الأمر ، هو أنك تتظاهر بالغباء فحسب .

وعاد حاجباه ينعقدان ، على نحو مخيف ، وهو يتابع :

ـ لقد أخبرتك أنه لا فكاك من هذا .. ستخضع حتمًا ، أو تموت شر ميتة .

مع الشق الأخير من تهديده ، دلف قائد أمنه إلى المكان ، وهو يحمل مظروفًا صغيرًا ، وقال فى توتر ملحوظ :

ـ نتائج الفحص الجينى للجواد .. رأيت أنه من الضرورى أن تطالعها الآن .

التقط منه الزعيم ذلك المظروف ، وفضه فى سرعة ولهفة ، والتهم محتوياته فى لمح البصر ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، مع هتافه :

ـ مستحيل !

وافقه قائد الأمن ، بإيماءة من رأسه ، وهو يقول فى توتر :

ـ الخبراء أجروا الفحص ثلاث مرات ، قبل أن يضعوا تقريرهم الرسمى .

تألقت عينا الزعيم فى وحشية شديدة ، وبرزت أنيابه دون أن يدرى ، وهو يرفع عينيه مرة أخرى إلى الجواد ، قائلاً :

ـ جينات بشرية ! من كان يتوقَّع هذا ؟!

ثم تراجع فى عرشه الضخم ، متابعًا :

ـ هذا يجعل الأمر أكثر إمتاعًا بحق .

قالها ، وأشار بيده ..

وانطلقت الصاعقة الجديدة ..

وفى هذه المرة ، بلغ صهيل الجواد حدًا مخيفًا ..

حد الموت ..

★ ★ ★

من الواضح أن ذلك المتحوِّر الآخر كان بارعًا فى إطلاق سلاحه ، إلى حد مدهش ..

فلقد أطلق أشعته ، نحو صدر الفارس الشاب مباشرة ..

وأمام عينيه ، أصابت الأشعة هدفها ..

وارتطمت بصدر الشاب ..

ثم ارتدَت ..

وبمنتهى العنف ..

وفى دهشة غاضبة ، هتف المتحوِّر :

ـ أى عبث شيطانى هذا ؟!

ومع هتافه ، وثب الشاب ..

وثب وثبة قوية ، تجاوز بها مساحة الزنزانة كلها ، لينقض

على المتحوّر انقضاضة عنيفة ..

قـويـة ..

باسلة ..

وبضربة مباشرة قوية ، أطاح الشاب بسلاح المتحوّر ، الذى أطلق زمجرة وحشية غاضبة ، وقبض على عنق الشاب ، ثم رفعه عن الأرض ، كما لو أنه مجرّد دمية صغيرة ، وهو يصرخ :

ـ أتتصوّر نفسك ندًا لى .

شعر الشاب بآلام رهيبة فى عنقه ، وبالهواء يحتبس عن صدره ، وذلك المتحوّر ، الذى يفوق الثور قوة ، يتابع بكل وحشيته وغضبه :

ـ سأعلق رأسك على باب حجرتى .

هوى الشاب على عنقه بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تحصل عليه أوّلاً .

أصابت لكمته حنجرة المتحوّر مباشرة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وأراد أن يطلق سبابًا غاضبًا ساخرًا ، إلا أن كل ما خرج من حنجرته لم يتجاوز حشرجة خشنة ، و .....

وهوى الفارس الشاب بلكمة أخرى ، أكثر عنفًا وقوة ..

واتسعت عينا المتحوّر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبدت حشرجته عجيبة ..

مكتومة ..

قـاتلـة ..

وعندما استعد الشاب ، ليهوى على حنجرته بلكمة ثالثة ، تراخت قبضة المتحوّر على عنقه ، فسقط الشاب أرضًا ..

وسقط المتحوّر خلفه ..

وفى مرارة خانقـة ، على الرغم من فوزه فى معركته ، نهض الشاب ، وغمغم :

ـ رباه ! ما الذى جعلونى أفعله ؟! ما الذى فعلوه فى العالم كله ؟!

كان يحنقه أن اضطر إلى اللجوء لكل هذا العنف ، حتى يخرج من مأزقه ..

وكان هذا يشعره بالألم ..

والأسى ..

والحزن ..

والمرارة ..

إلا أنه لم يوقفه ..

ففى سرعة ، ألقى كل هذا خلف ظهره ، ووثب خارج الزنزانة ، وأسرع يعبر الممر الطويل ، الممتد أمامها ، وهو يبحث عن مخرج ..

كان الممر فرعًا من شبكة ممرات شديدة التعقيد ، أشبه بالمتاهات ، التى يلهو بها الصغار ، فى مجلاتهم المصوَّرة ..

متاهة متشابكة ..

متداخلة ..

ومعقَّدة ..

ولدقائق عشر ، تحرَّك عبر المتاهة ، فى كل الاتجاهات ، دون أن يجد مخرجًا ..

أى مخرج ..

لذا ، فقد توقَّف ، وغمغم :

ـ عجبًا ! من الممكن أن يقضى المرء عمره كله هنا ، دون أن يجد منفذًا له ، أو ....

قبل أن يتم عبارته ، بلغ مسامعه صهيل جواده ..

وانتفض جسده فى عنف ..

فالصهيل الرهيب ، الذى سمعه داخل تلك المتاهة ، كان يوحى بأن جواده المجنَّح القوى يلفظ آخر أنفاسه ..

وبمنتهى القسوة .

★ ★ ★

« **الجواد** يلفظ أنفاسه الأخيرة .. »

نطق قائد أمن زعيم المتحورين العبارة فى قلق ، وهو يتطلَّع إلى الجواد الذى بدا متهالكًا على نحو مخيف ، إلا أن الزعيم أطلق زمجرة وحشية عنيفة ، قائلاً :

ـ إما أن يخضع أو يموت .

غمغم قائد الأمن فى عصبية :

ـ بعد كل ما فعلناه للإيقاع به .

مطَّ الزعيم شفتيه ، قائلاً فى شراسة :

ـ لم نعد بحاجة إليه فعليًا .. العلماء أكدوا قدرتهم على استنساخ مثله ، بجزء قليل من خلاياه .

انتبه رأس الجواد ، فى هذه اللحظة ، على نحو واضح ، فزمجر الزعيم مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ إنه يفهمنا .

ثم ضغط زر جهازه مرة أخرى ..

وانطلق صهيل الجواد المجنح المسكين ..

انطلق حاملاً رنة عذاب ..

عذاب بلا حدود ..

وداخل تلك المتاهة الرهيبة ، انتفض جسد الفارس الشاب ، وهو يهتف :

ـ يا للأوغاد ! يا للوحوش !!

كان ضائعًا وسط تلك المتاهة ، لا يدرى طريقه فيها ، وصهيل جواده المعذب يصم أذنيه ، آتيًا من مكان ما ..

مكان قريب ..

قريب جدًا ..

« لا تكن أبدًا عبدًا للتكنولوجيا .. »

استعاد ذهنه عبارة معلمه ، فى تلك اللحظات الحرجة ، وتذكّر نصيحته الأساسية الدائمة ..

« احرص دومًا على أن تتدرب حواسك على التعامل مع الطبيعة وحدها .. دون أجهزة ، أو تكنولوجيا .. فمن يدرى .. ربما يكون فى هذا خلاصك ذات يوم .. »

وبكل الحزم فى أعماقه ، غمغم الفارس الشاب (أمل) :

ـ نعم .. هذا اليوم المنشود يا معلمى .

ومع صهيل الجواد التالى ، أرهف سمعه ..

وأنصت بأذنيه ..

بل بكيانه كله ..

ثم أغمض عينيه ..

وانطلق ..

انطلق عبر المتاهة ، مسترشدًا بصهيل الجواد وحده ..

وكما كان يحدث ، خلال التدريبات العديدة ، التى أخضعه لها أستاذه الفارس ، شعر وكأن الصوت يرسم أمامه خريطة خاصة جدًا ..

خريطة تراها أذناه ، وتقوده عبر دروب خفية ، لا يدركها سواه ..

ثم أخيرًا توقف ..

وفتح عينيه ..

ورفعهما إلى أعلى ..

وانطلق الصهيل مرة جديدة ..

ورهيبة ..

وفى هذه المرة كان صهيل جواد يحتضر ..

بالفعل ..

وكان يأتى من فوقه مباشرة ..

جواده هناك إذن ..

فى مكان ما ، يعلوه مباشرة ..

وهو يتعذَّب ..

ويحتضر ..

وهو لن يقف هنا ساكنًا ..

أيًا كان الثمن ..

لقد جرَّده المتحورون من كل أسلحته التكنولوجية ، ولكنهم أهملوا أهم أسلحته على الاطلاق ..

عقله ..

وبكل ما يملك من قوة وإرادة ، أغلق (أمل) عينيه ، ودفع عضلاته كلها للاسترخاء ، ثم أطلق لعقله العنان ..

وبكل طاقته ..

كان هذا أهم وأخطر ما تعلمه ، على يد فارسه وأستاذه ومعلمه ..

إطلاق طاقة العقل ..

لم يكن تدريبًا وموهبة فحسب ..

بل كان أيضًا جزءًا من تكنولوجيا المستقبل ..

تكنولوجيا الاتصالات ..

العقلية ..

فعبر جهاز خاص ، مزروع فى عقله ، وعقل الجواد ، تم اتصال خاص ودقيق ..

خاص جدًا ..

ودقيق جدًا ..

وبحركة حادة ، وعلى الرغم من تهالكه الشديد ، أطلق الجواد صهيلاً ..

ونهض واقفًا ..

ومع نهضته المفاجئة ، شهق قائد الأمن ، وهتف :

ـ ولكن كيف ؟!

قاطعه الزعيم بإشارة صارمة من يده ، وقد انعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وعيناه ترصدان ذلك التغير المباغت ، فى مسار الجواد .

فلسبب ما ، راح يطلق صهيلاً متكررًا قصيرًا ، ويضرب الأرض بحوافره فى قوة ، متطلعًا إلى بقعة بعينها أسفله ..

وفى توتر ، غمغم زعيم المتحورين :

ـ هناك شىء ما .

راح الجواد يدور حول نفسه ، ويضرب الأرض بقوائمه فى عصبية ، ويطلق ذلك الصهيل المتقطع ، فقال قائد الأمن فى عصبية :

ـ أية طاقة تلك ، التى تفجَّرت فى هذا الجواد .. لقد كان يحتضر منذ لحظات قليلة !!

كرَّر الزعيم فى شراسة :

ـ هناك شىء ما .

صمت بضع لحظات بعدها ، وهو يراقب الجواد المتوتر ، ثم استدار بحركة حادة ، وضغط أزرار جهازه الخاص ..

وبسرعة ، راح الجهاز يرسم منحنيات سريعة على شاشته ..

منحنيات راحت تتسارع ..

وتتسارع ..

وتتسارع ..

ومع تسارعها ، راحت ترسم خريطة دقيقة ..

خريطة لمتاهة الممرات ، تحت قاعة الاستجواب الخاصة ..

وتزايدت عصبية الجواد ..

تزايد وهو يدور حول نفسه أسرع ..

وصهيله المتقطع يعلو ..

ويعلو ..

ويعلو ..

وفى المتاهة السفلى ، بدأ جسد الفارس الشاب يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ثم بدأت الدماء تسيل من فتحتى أنفه ..

كان من الواضح أن ذلك الاتصال العقلى الرهيب يستنزف قواه ، ويجهد خلايا مخه ، وأوردته الدماغية ..

إلى أقصى حد ..

وبكل غضب الدنيا ، فى قاعة الاستجواب ، صرخ زعيم المتحورين ، مشيرًا إلى الأرضية :

ـ إنه يتلقى إشارة ما ، من أسفل .

هتف قائد أمنه منزعجًا :

ـ إشارة ما ؟!

ولم يكن هتافه قد اكتمل ، عندما انهار جزء من أرضية القاعة بغتة ..

انهار مع القفص ، الذى وضعوا داخله الجواد المجنَّح ..

ومع انهياره ، أطلق زعيم المتحورين صرخة ..

صرخة غاضبة ، وحشية ، شرسة ، ثائرة ..

صرخة لم يطلق مثلها ، منذ زمن طويل ..

أما الفارس الشاب ، فقد تراجع فى سرعة ، قبيل سقوط أرضية القاعة بلحظة واحدة ، وشاهد القفص يسقط من أعلى ، ويرتطم بالأرض ، ويتحطَّم ، ويخرج منه جواده ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، وثب على متن جواده ، هاتفًا :

ـ نجحنا يا صديقى .

أطلق الجواد صهيلاً آخر ، يحمل حماسه وفرحته ، ثم وثب ..

وثب ليعبر الفجوة مرة أخرى إلى أعلى ، ثم يفرد جناحيه ، وينطلق مع فارسه الشاب ..

ومع انطلاقتهما ، صرخ زعيم المتحورين صرخة أخرى ..

صرخة بدت أكثر شراسة ووحشية ، وهو يهتف :

ـ أوقفه .. أوقفه بأى ثمن ..

سحب قائد الأمن مسدسه الإشعاعى بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ أمرك أيها الزعيم .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، أسرع الزعيم يضغط زرًا آخر فى جهازه ..

زر أطلق قبة معدنية رقيقة ، لتغطى القاعة كلها ..

قبة غير قابلة للاختراق ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

٤ـ صهيل ..

فجأة ، ودون مقدمات ، أطلق ذلك المهر المجنَّح صهيلاً قويًا ، داخل المنطقة الخاصة به ، فى مكمن الفارس ..

فبوسيلة ما ، وصلته رسالة قوية ..

رسالة وثبت إلى أعمق أعماقه بغتة ، لتنقل له صورة واضحة ، لما يحدث هناك فى داخل المدينة الكبيرة ..

ومع الصورة ، ارتسمت خريطة ..

ومهمة ..

مهمة تم زرعها فى عقله مسبقًا ..

مهمة خاصة جدًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى استقبل فيها المهر الرسالة ، كان الفارس الشاب يندفع بجواده ، نحو نافذة كبيرة فى القاعة ، فى سباق مع الزمن ، لبلوغها قبل أن تنسدل عليها تلك القبة المعدنية ، المقاومة للاختراق ..

وعلى الرغم من إجهاده وتهالكه ، خفق الجواد بجناحيه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والقبة المعدنية القوية تنسدل ..

وتنسدل ..

وتنسدل ..

وأطلق قائد الأمن أشعة مسدسه ..

ومال الجواد المجنَّح فى مهارة ..

وتجاوزته الأشعة المدمرة ..

وأصابت إطار النافذة الكبيرة ..

وكان مشهدًا مبهرًا ، تفجَّر كل غضب زعيم المتحورين ..

وبمنتهى العنف ..

فمع تفجُّر الإطار ، بأشعة مسدس قائد الأمن ، انهارت النافذة كلها ، فى حين ضم الجواد المبهر جناحيه ، ليقلل من حجمه ، وهو ينطلق بفارسه عبرها ..

وامتزج كل شىء ..

بريق الأشعة ..

الإطار المنهار ..

والزجاج المتناثر ..

والجواد ..

وفارسه ..

وصرخة الزعيم ..

لقد أطلق صرخة هائلة ..

غاضبة ..

ثائرة ..

شرسة ..

وحشية ..

أطلقها قبل أن يثب إلى جهازه ، وهو يهتف :

ـ أيها الغبى .. أيها الغبى ..

ومع ضغطته ، انطلقت صفارة إنذار قوية ، فى المدينة الكبيرة كلها ، وراحت قبتها السميكة تتألق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وأدرك الفارس الشاب ، بكل ما تعلمه من أستاذه ، ما الذى يعنيه هذا بالضبط ..

فالقبة السميكة لم تعد مجرَّد قبة ..

بل غلاف من طاقة هائلة ، لا يمكن عبوره ، إلا بثمن باهظ للغاية ..

غلاف سيفجِّر حتمًا كل ما يلمسه ..

ومن يلمسه ..

وهذا يعنى أنه قد أفلت بجواده من سجن صغير ، إلى سجن كبير ..

سجن المدينة الرهيبة ..

كلها ..

وعبر جهاز اتصال قوى ، صرخ زعيم المتحورين ، فى كل أنحاء المدينة :

ـ امنعوهما .. امنعوهما من الفرار بأى ثمن .. حياتهما لم تعد تعنى أحدًا .. اسفوهما .

ومع صرخته ، تأهبت كل قوات الأمن ، فى المدينة الكبيرة ..

وانطلقت ..

انطلقت نحو هدف واحد ..

وفارس واحد ..

فارس المستقبل ..

أما فى قاعة الاستجواب ، فقد استدار الزعيم إلى قائد أمنه ، قائلاً بكل شراسة الدنيا :

ـ أنت فعلتها .. أنت ساعدتهما على الفرار .

تراجع قائد الأمن ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لقد .. لقد حاولت إيقافهما .

صرخ به الزعيم ، فى شراسة أكثر ، وأنيابه ومخالبه تبرزان ، على نحو مخيف :

ـ وفشلت .. هل تعرف عقوبة الفشل هنا ؟

انتفض جسد قائد الأمن ، ورفع فوهة مسدسه الإشعاعى نحو زعيمه ، فى حركة دفاعية غريزية ، وهو يقول :

ـ لا .. لن أكون لقمة سائغة كسلفى .

زمجر الزعيم زمجرة وحشية ، وهو يقول :

ـ وكيف سيمكنك منعى أيها المتحذلق ؟!

تراجع قائد الأمن أكثر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لقد .. لقد قمت بتلغيم القبة ، وكل مداخل ومخارج المدينة ، وحتى عرشك أيها الزعيم ، وكل تلك الألغام ترتبط بمنظم خاص فى قلبى ، ولو توقف هذا القلب ، ستنهار المدينة كلها .

توقف الزعيم ، وأطلق زمجرة أكثر وحشية ، وهو يقول :

ـ أنت خائن إذن !

صاح قائد الأمن ..

ـ لست خائنًا ، ولكننى حذر .. لقد خدمتك ، وكنت سأخدمك مدى حياتى ، بكل الوفاء والإخلاص ، ولكن إذا ما قررت التخلص منى ، فلابد وأن يكون الثمن فادحًا .

زمجر الزعيم ، بكل وحشية الدنيا ، هاتفًا :

ـ هكذا خطت .

حاول قائد الأمن أن يتماسك ، وهو يقول :

ـ وهكذا نفذت .

حدق الزعيم فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يطلق ضحكة قوية مجلجلة .. ضحكة وحشية ، رددت صداها جدران قلعته كلها ..

ضحكة امتزجت بأزير خيوط وحزم الأشعة ، التى انطلقت فى سماء مدينته الكبيرة ، فى محاولة لاصطياد الفارس الشاب وجواده المجنَّح ..

كانت كل الفرق تحاول اصطيادهما ، ولكن الجواد المجنَّح ، كان يستنفد كل ما تبقى له من طاقة وقوة ، ليناور ..

ويحاور ..

ويدور ..

ويتفادى ..

وعلى متنه ، هتف فارسه الشاب :

ـ لا فائدة .. لن يمكننا اختراق قبة الطاقة هذه ، ولقد سدوا كل الأنفاق ، التى تقود إلى هنا .. سنقع فى قبضتهم حتمًا يا صديقى .. لا فائدة ..

« لا تيأس أبدًا من رحمة الخالق (عز وجل) ، ولا تستسلم لخصومنا قط ، فالموت أشرف من الوقوع فى أسرهم .. »

تردَّدت العبارة هذه المرة فى ذهن الجواد ، وليس فى ذهن الفارس ..

ومع تردُّدها ، انطلقت فى عروقه فورة خاصة ..

وبرزت فكرة ..

بل هو قرار ..

قرار حاسم للغاية ..

قرار ينتظر اتصالاً عقليًا محدودًا .

اتصالاً واحدًا ..

واضحًا ..

ومباشرًا ..

وفى تلك اللحظة ، التى ينتظر فيها القرار ، كان الزعيم يواجه قائد أمنه ، وهو يضغط أزرار جهاز اتصاله الخاص ، قائلاً :

ـ أهذه خريطة ألغامك ؟

اتسعت عينا قائد الأمن ، فى دهشة وارتياع ، وهو يحدِّق فى خريطة دقيقة للغاية لمواقع الألغام ، التى زرعها فى القبة ، وفى مداخل ومخارج المدينة الكبيرة ، فى حين أطلق الزعيم ضحكة وحشية أخرى ، وقال :

ـ لقد كشفت أمرها ، فور زرعك لها ، وتم انتزاعها كلها من مكامنها ، وإبطال مفعولها ، ولكننى تركتك تتصوَّر أنها موجودة ، حتى لا أفقد لذة اللعبة .

اتسعت عينا قائد الأمن ، حتى ذروة اتساعهما ، وتملكه يأس بلا حدود ، جعله يطلق أشعة مسدسه نحو زعيمه مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

أطلقها وهو يدرك أن جسده النووى لن يتأثر بها مطلقًا ، قبل أن تسقط ذراعه إلى جواره ، ويسقط هو على ركبتيه ، قائلاً فى انهيار :

ـ الرحمة .

ورمقه الزعيم بابتسامة ساخرة ظافرة ، قبل أن يقول فى وحشية :

ـ فيما بعد .. سننظر فى أمرك فيما بعد .

ثم عاد إلى جهازه ، وضغط أزراره فى سرعة ، لترتسم على شاشته دائرة ، يتقاطع قطراها الرأسى والأفقى ، عند نقطة واحدة ، حركها فى سرعة ومهارة ، لتستقر على الجواد المجنَّح وفارسه ، وهو يقول :

ـ طاقة القبة لا تحمى فحسب .. إنها تنطلق حيث أشاء أيضًا .

وأعقب قوله بضغطة زر جديدة ..

ضغطة ستطلق كل طاقة القبة نحو هدف واحد ..

الهدف البشرى الوحيد ، فى المدينة الكبيرة ..

كلها .

★ ★ ★

لم يكن هناك مفر من سقوط فارس المستقبل هذه المرة ..

فالطاقة التى تنبعث من القبة السميكة ، المحيطة بالمدينة الكبيرة ، كانت تمنع اختراقها ، بأى حال من الأحوال ..

وقوات المتحورين كلها كانت تهاجمه ..

وزعيمها يهم بإطلاق كل طاقة القبة نحوه ..

حتى سكان الجبال من البشر ، فى الوادى الأزرق ، أدركوا أن الموقف يختلف تمامًا ، عن كل ما عهدوه من قبل ..

فعلى نحو غير مسبوق ، تألَّقت قبة المدينة الكبيرة ..

وتألَّقت ..

وتألَّقت ..

حتى صارت أشبه بشمس أخرى ، حجبت مرحلة الغروب ، وصنعت امتدادًا نهاريًا صناعيًا ..

وفى خوف شديد ، لاذ البشر بكهوفهم ..

وسراديبهم ..

ورعبهم ..

وانتظروا حدوث كارثة ..

كارثة رهيبة ، على كل المستويات ..

وهذا بالضبط ما شعر به الفارس الشاب ..

وما أدركه جواده المجنّح ..

ولكن العجيب أن ذلك الجواد المدهش ، قد انحرف فجأة بزاوية حادة للغاية ، دون سابق إنذار ، وكأنما استشعرت غريزته خطرًا ما ..

وفى نفس لحظة انحرافه ، هوت حزمة الطاقة الرهيبة ..

هوت لتضرب أحد مبانى المدينة مباشرة ، بعد أن تجاوزت الجواد ..

وأمام أعين الجميع ، تبخّر المبنى تمامًا ..

وصرخ زعيم المتحورين .

صرخ فى غضب هادر ؛ لأنه ، ولأول مرة ، أخطأ هدفه ..

وبسرعة ، حاول أن يعيد التصويب نحو الفارس وجواده ، لولا أن نبهته شاشته الراصدة إلى أمر عجيب ..

فقد أوقف انسدال القبة المعدنية العازلة ، مع مغادرة الفارس ..

وعبر النافذة المحطمة ، كانت قاعته مكشوفة للجميع ..

وكان الفارس وجواده يتجهان نحوها مباشرة ..

وخلفهما كانت قواته ، التى تواصل إطلاق النيران نحوهما ..

وتواصل ..

وتواصل ..

ومع براعة المناورات ، التى يقوم بها الفارس والجواد ، كانت حزم الأشعة القاتلة تتجاوزهما ، وتواصل طريقها ، لترتطم بالجدار الخارجى للقاعة ، وبأرضيتها ، عبر النافذة المحطمة ، والنوافذ الأخرى ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ الزعيم الوحشى :

ـ أوقفوا إطلاق النار أيها الأغبياء .

أوقفت قواته إطلاق النيران على الفور ، فى نفس الوقت الذى عجز هو فيه عن إعادة التصويب بطاقة القبة ؛ خشية أن تفلت الطاقة ، فتبخره وقصره المنيع ، وتمحوهما من الوجود ..

ولم يفهم لماذا يعود الفارس وجواده إلى قاعته ..

لم يفهم أبدًا ..

لذا فقد انعقد حاجباه ..

وزمجر ..

وهبَّ واقفًا فى تحد وحشى غاضب ..

وعبر الفارس وجواده النافذة المحطمة ، واستقرا على أرضية القاعة الكبيرة الباردة ، وتراجع قائد الأمن ، فى توتر بلا حدود ..

أما الزعيم الوحشى ، فقد زمجر فى قوة ، هاتفًا :

ـ عدتما إلى قبركما ..

صهل الجواد ، وضرب أرضية القاعة بحافريه الأماميين ، وفارسه يقول فى حزم صارم :

ـ أستاذى علمنى أنه عندما تضيق الدائرة ، يصبح الهجوم هو خير وسيلة للدفاع .

زمجر الزعيم مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ أستاذك .. هه .. أتعنى ذلك الفارس الأحمق ، الذى لقى مصرعه فى قاعة العرش ؟!

تفجَّر غضب هائل فى أعماق الشاب ..

غضب كاد يدفعه إلى هجوم أحمق عصبى ، لولا أن استعاد كلمات أستاذه ..

« إياك والغضب .. إنه يعمى بصرك وبصيرتك ، ويجعلك فريسة سهلة لأى خصم فى مواجهتك .. إياك » .

وصهل الجواد مرة أخرى ..

صهل وهو يرمق ببصره ذلك الجهاز الدفاعى ، إلى جوار الزعيم ..

وعبر ذلك الاتصال العقلى الفائق بينهما ، أدرك الشاب ما عليه أن يفعله ..

وفى حركة رشيقة مرنة ، وثب عن متن جواده ، وهو يهتف :

ـ تظن نفسك قويًا يا هذا ؟!

ابتسم الزعيم ابتسامة وحشية ، وهو يقول :

ـ إننى قوى بالفعل .

شدَّ الشاب قامته ، وتحرَّك إلى اليسار فى حذر ، قائلاً :

ـ دعنا نختبر هذا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة وحشية ، على شفتى الزعيم ، وهو يبرز أنيابه ومخالبه ، قائلاً :

ـ فليكن أيها البشرى .. أنت أردت هذا .

كانت عيناه تشعان ببريق جهنمى مخيف ، وهو يتابع حركة الشاب فى استهتار ، و .....

وفجأة ، وما إن ابتعدت عيناه ، حتى فرد الجواد جناحيه ، وأطلق صهيلاً قويًا ..

ثم انقض ..

لم ينقض على الزعيم ..

أو حتى على قائد أمنه ..

بل انقضّ على جهاز التحكُّم الشامل ..

مباشرة ..

وبمنتهى العنف ..

واتنبه قائد أمن الزعيم ..

وصرخ ..

ورفع مسدسه الإشعاعى مرة أخرى ..

ومع صرخته انتبه الزعيم ..

وأدرك الخدعة ..

واستدار يحاول حماية جهازه ، بمنتهى الوحشية والشراسة ..

وأطلق قائد أمنه أشعته ..

وتداخلت كل المشاهد على نحو رهيب ..

وتفجَّرت الدماء ..

ولكن الجواد الأصيل انقض ..

ورفع قائمتيه ..

وهوى بحافريه الأماميين القويين على الجهاز ..

هوى ..

وهوى ..

وهوى ..

وتحطَّم جهاز التحكُّم الشامل بعنف ، وتطايرت أجزاؤه فى كل مكان ، وامتزج تطايرها بصرخة هادرة ، أطلقها زعيم المتحورين ..

صرخة حملت كل غضبه ..

ومقته ..

وثورته ..

ووحشيته ..

وبوثبة جبارة ، هبط إلى جوار الجواد ، وأمسك معرفته بكل قوته ، صارخًا كأنما ألف وحش :

ـ أنت تستحق هذا .

وبقوة هائلة رهيبة ، رفع الجواد عاليا ، ثم ألقى به نحو الجدار ..

وطار جسد الجواد عبر القاعة ..

ومعه طار جسد (أمل) ؛ لينقض على قائد الأمن ، ويلكمه لكمة كالقنبلة فى فكه ، ثم ثانية ساحقة فى معدته ، قبل أن ينتزع مسدسه الإشعاعى بحركة قوية بارعة ..

وارتطم جسد الجواد بالجدار ..

وأطلق صهيلاً آخر ..

وسقط ..

ومع سقوطه ، كان قائد الأمن ينقض على (أمل) ، بكل وحشية الدنيا ، صارخًا كالمجنون :

ـ لن تهزمنى أيها البشرى .

كان الفارس الشاب يدرك أن قائد الأمن سيفوقه قوة بكثير ..

وأن أية مواجهة قتالية مباشرة بينهما ، ستعنى هزيمته حتمًا ..

وخاصة مع حالة الإجهاد الشديد ، التى يشعر بها ..

لذا فقد كان مضطرًا لاستخدام الوسيلة الوحيدة ، التى تبقى على حياته ..

الوسيلة التى يبغضها كل البغض ..

وفى حسم وحزم ، رفع فوهة مسدس الأشعة ..

وأطلقه ..

كان ذلك المتحورّ الضخم ينقض عليه بكل قوته ، عندما ارتطمت الأشعة القوية بصدره ، فاقتلعته من قفزته ، ودفعته فى الاتجاه العكسى ، ليطير عبر القاعة ، وهو يطلق صرخة هائلة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وبكل وحشية الدنيا ، استدار الزعيم يواجه الفارس الشاب ..

وعلى نحو مدهش ، راح جسده يتضخّم ..

ويتضخّم ..

حتى بدا عملاقًا ، متألقًا ، رهيبًا ، وتردّد صوته مخيفًا فى القاعة ، وهو يقول :

ـ والآن ، فلتذق ما ذاقه أستاذك .

وبدا من الواضح أنه لم يعد هناك مخرج هذه المرة ..

أى مخرج ..

★ ★ ★

٥ـ ختـــام ..

من المؤكد أن كل حسابات الدنيا ستتفق ، على أن الأمل فى نجاة الفارس الشاب ، من ذلك الموقف الرهيب ، منعدم تمامًا ..

فقد فقد كل أسلحته ..

وكل حيله التكنولوجية ..

وجواده مصاب ..

محطم الضلوع ..

والدماء تنزف من عنقه ..

والزعيم الضخم أصبح عملاقًا متألقًا ..

وتضاعفت وحشيته ألف مرة .

وفى توتر بالغ ، راح الشاب يتحرك فى حذر ، والزعيم يتابعه فى استهتار ، قائلاً :

ـ لا يوجد مفر .. لن تجد مخرجًا واحدًا من هنا ..

كان من الواضح أنه لا يبالى بمناورة الشاب ، حتى إنه لا يتعجل القضاء عليه ، وإنما يستمتع بالعبث به ، كما يفعل القط بالفأر ..

هذا لو أن القط والفئران ما زالت على حالها القديم ، فى ذلك الزمن العسير الرهيب .

لذا ، فبمنتهى الاستمتاع ، راح يحاصر الفارس الشاب ..

ويحاصره ..

ويحاصره ..

ويدفعه نحو الركن الذى اختاره له تمامًا ..

وفجأة ! انتفض الجواد المجنَّح ..

انتفض ، واستعاد وعيه وانتباهه ..

وإدراكه لما يحدث حوله ..

الجزء الجينى البشرى منه ، أمكنه أن يفهم ويستوعب ذلك الموقف الشائك الدقيق ..

ولكن المؤسف أنه كان أضعف من أن يقاتل ..

أو يواجه ذلك الزعيم الوحشى ..

وبأية صورة من الصور ..

ومن المستحيل ، فى الوقت ذاته ، أن يتخلَّى عن الفارس الشاب ..

الفارس الذى أوصاه به سيّده السابق ..

وكما تدرب طويلاً ، استعاد الجواد كل ما مر به ..

ثم اتخذ قراره ..

أصعب وأدق قرار ، فى حياته كلها ..

وبكل ما تبقى له من قوة نهض الجواد الأصيل ..

كانت الآلام تنتشر ، فى جسده كله ، إلا أنه أبى أن يستسلم ..

فقد كانت لديه مهمة ، لا بد وأن ينجزها ..

مهمة حاسمة ..

حازمة ..

وأخيرًا ..

وبإرادة تفوق إرادة البشر ، خفق الجواد بجناحيه ..

وانطلق ..

لم ينطلق نحو الزعيم الوحشى ..

أو حتى نحو فارسه ..

بل انطلق خارجًا ..

انطلق على نحو أدهش الفارس ..

والزعيم ..

وكل القوات فى الخارج ..

ولأنهم قد تلقوا أمرًا صارمًا ، بعدم إطلاق النار ، لم يدر جنود المتحورين ماذا يفعلون !!

وعلى أى أمر ، ينبغى أن يقدموا ..

لذا فقد تجمدوا تمامًا ، واكتفوا بمراقبة الجواد ، الذى راح يرتفع ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

نحو القبة المشحونة بالطاقة مباشرة ..

وفى توتر وحشى ، عقد الزعيم حاجبيه الكثين ، وأبرز أنيابه ومخالبه ، وهو يطلق زمجرة رهيبة ، وعقله يبحث عن تفسير ..

أى تفسير ..

أما الفارس الشاب ، فقد أدرك ما يحدث ..

ربما أدركه ؛ لأنه يفهم الجواد جيدًا ..

أو لأنه هناك تكنولوجيا شديدة التطور ، تربط بين عقليهما ..

أو ربما للسببين معًا ..

المهم أنه قد فهم ..

واستوعب ..

وصرخ :

ـ لا .. لا تفعلها ..

ومع صرختة ، أدرك الزعيم ما يراه ..

واشتعلت عيناه بالغضب ..

كل غضب الدنيا ..

وبكل الانفعال الوحشى ، الذى تفجر فى أعماقه ، صرخ الزعيم :

ـ أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

ولكن صرخته ضاعت فى فراغ القاعة ..

وفى غياب أجهزة الاتصال ..

أما الجواد ، فقد وصل انطلاقته وارتفاعه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما اقترب تمامًا من القبة ، أطلق صهيلاً قويًا ..

صهيل اختلف عن كل صهيل سابق ..

صهيل حاسم ..

حازم ..

وأخير ..

صهيل ارتطم بعده بالقبة المشحونة بالطاقة الهائلة ..

وبكل قوته ..

ودوى انفجار رهيب ..

شىء ما فى جسده ، تفاعل مع كل طاقة القبة ، وصنع انفجارًا هائلاً مخيفًا ..

انفجار لم يدو داخل المدينة الكبيرة وحدها ، وإنما تردَّد صداه فى الوادى الأزرق نفسه ..

ومع دويه ، تهاوت القبة كلها ..

وتمزق هو تمامًا ..

ومع سقوط القبة ، تهاوت مركبات قوات المتحورين ، وصرخ زعيمهم بكل غضب وثورة الدنيا ، وسادت موجة رعب هائلة بين السكان المتحورين ..

ووسط كل هذا ، برز المهر المجنَّح ..

جاء تلبية لنداء عقلى شامل ، أطلقه الجواد الأوّل ..

الجواد السابق ..

الراحل ..

ووسط الهرج والمرج ، اندفع نحو نافذة القاعة المحطمة ..

وعلى الرغم من حزنه ومرارته ، على مصرع الجواد الكبير الأصيل ، استوعب الفارس الشاب الموقف كله ، وأدرك أنها فرصته الأخيرة ، فاندفع بأقصى سرعته نحو النافذة المحطمة ..

ووثب منها بكل قوته ..

كانت ترتفع عشرين مترًا عن سطح الأرض ، ولكنه لم يتردَّد لحظة واحدة ، مما جعل الزعيم يعدو محاولاً اللحاق به ، وهو يصرخ :

ـ أوقفوه .. أوقفوه .

ولكن الموقف كان سريعًا ، متناسقًا ، مدروسًا ، وسط حالة هائلة من الفوضى ، منعت اتخاذ أى إجراء عاجل ، أو إطلاق أية استجابة سريعة قوية ..

فالمهر المدرَّب انخفض فى براعة ، وترك فارسه يسقط ممتطيًا إياه بدقة مدهشة ، قبل أن يضرب الفراغ بجناحيه ، ويرتفع مرة أخرى فى سرعة ، وطاقة الزعيم الرهيبة تنطلق نحوه ..

وتنطلق ..

وتنطلق ..

دون أن تنجح فى إصابته مرة واحدة ..

ومن جعبة المهر ، التقط الفارس الشاب سلاحًا صغيرًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد قتلوا جيلك الأوّل ، ولا يمكن أن ننصرف ، دون أن نترك لهم ما يذكرهم بهذا .

قالها ، وأطلق سلاحه نحو النافذة المحطمة تمامًا ..

ودوى انفجار آخر ، فى المدينة الكبيرة ..

انفجار تهاوت معه أرضية القاعة ، التى يقف وسطها الزعيم ..

تهاوت لتضرب الطابق أسفلها ..

وراح المبنى كله ينهار ..

وبسرعة رهيبة ..

وعلى الرغم من أن هذا لم يحطمه ، راح الزعيم يصرخ ، بكل غضبه وثورته ، قائلاً :

ـ لن تفلت منى أبدًا .. ربما تربح جولة ، ولكنك لن تربح المباراة .. هل تفهم ؟! لن تربحها أبدًا .

ولم يسمع الفارس صرختَه هذه ، وهو يبتعد عن المدينة الكبيرة .

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ففى أعمق أعماقه ، وعلى الرغم من فوزه فى هذا الصراع ، كان يشعر بمرارة بلا حدود ..

مرارة ولّدها إحساسه بأن كل مواجهة مع أولئك الوحوش ، لا بد وأن تنتهى بخسارة فادحة ، مهما بلغ انتصارها ..

فمرة خسر أستاذه ..

ومرة فقد جواده ..

ومن يدرى ، ما الذى يمكن أن يفقده ، فى المواجهة التالية ..

المواجهة التى تعد أسوأ ما فى ذلك الزمن ..

وتواصلت تلك الفكرة فى رأسه ، مع ما يشعر به من مرارة وحزن ، وهو يبتعد عن المدينة الكبيرة ، التى تعالى منها وهج النيران ، وأجنحة مهره تخفق ..

وتخفق ..

وتخفق ..

عبر سماء الوادى الأزرق ..

وعبر الزمن ..

أصعب زمن ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

تمت بحمد الله

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

فى هذا الكتاب

	صفحة
• الفرسان يتساقطون (رثاء)	٥
• رنات (قصة قصيرة)	١٠
• طريق الأمل (قصة كاملة)	٢١
• حبيبى (دراسة) :	
٦ - النفس وماتهوى	٥٥
قصة العدد :	
(فارس المستقبل)	٦٧
• عزيزى القارئ (١)	١٧٦
• عزيزى القارئ (٢)	١٨٥

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٤ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢

مطابع

الثمن فى مصر ٤٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم